

الإعجاز البلاغى
فى
سورة القمر

الدكتورة

عزيزة عبد الفتاح الصيفى

أستاذ البلاغة والنقد المساعد

كلية الدراسات الإسلامية والعربية

جامعة الأزهر - فرع البنات بالقاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم مُتَكَلِّمًا

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين
سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن والاه إلى يوم الدين .

أما بعد :

فإن تعلق القلوب المؤمنة بكتاب الله أمر فطري مطبوع فيها ،
وقراءة القرآن تشرح القلوب وتثلج الصدور ، وحفظ آياته ، وذكرها
باستمرار يسعد الأفئدة وينير العقول ، فالقرآن دليل المؤمن وهاديه ،
ومعرفة معانيه واستيضاح أسرارهِ وخوابيه فضيلة كبرى لا يحظى بها
إلا من هداه قلبه إلى متابعة الدرس والتعلم ، والرغبة في معرفة أسباب
إعجازه ، وبالرغم من تعدد الدراسات التي تناولت سور القرآن بالتحليل
والتفسير والتوضيح ، فإن كتاب الله سبحانه وتعالى يظل بحرًا من
الأسرار يغترف منه المؤمنون إلى يوم الدين ، ويظل مجالاً واسعاً يسع
الفضاء الذي لا يُعرف منتهاه .. إنه الجنة الوارفة الظلال يرتاح عندها
كل سائل عن سعادة الروح وسمو العقل وارتقاء الفكر . واهتداء النفس
لعمل هذه الدراسة عن سورة القمر نعمة منه وفضل عظيم ، فقد كنت
دائماً أفكر في تلك العلاقة العجيبة بين إخبار الله سبحانه وتعالى نبيه
عن اقتراب الساعة بعد انشقاق القمر ، وذكره بعد ذلك لقصاص الأمم
السابقة ، ووعدته في آخر السورة للمؤمنين بجنات ونهر ، وحياة أبدية
في النعيم .

وقد يتوقف المرء عجباً لهذه السورة المعجزة التي تهز الكيان هزاً ،
وتجعل الإنسان بتكرار ذكرها دائم التيقظ ، لعمل ما أمر الله ، والنهي
عما نهى ، إنها الناقوس يدق في أذان من كفر ، ومن أثم ، ومن ارتكب

المعاصي ، إن فيها الوعيد لهؤلاء بنار جهنم ، والوعد للمتقين بنعيم الجنة .

جاءت الدراسة في مقدمة ، وتمهيد ، وستة مباحث وخاتمة ، فقد تم تقسيم السورة إلى ست مباحث ، وحاولت من خلال التحليل البلاغي تحرى الدقة في إثبات المصادر والمراجع ، من كتب التفسير وكتب البلاغة للاستيضاح والاستفادة منها في التحليل البلاغي لكل حرف ولفظ وجملة في سورة القمر ولم تكن بالعمل السهل فإن إحصاء المعاني ومراجعتها في مصادرها ، وتحليل الفنون البلاغية المتنوعة ليس بالعمل الهين ، كما لم يفت البحث إثبات القاعدة البلاغية في الهامش ، والرجوع إلى المعجم للتعرف على معاني بعض الألفاظ فلم تكتف الدراسة بالمعنى المثبت في التفسير ، وقد كان الرجوع إلى المعجم مفيداً للوقوف على أكثر من معنى للفظ الواحد، بما يفيد التحليل البلاغي.

وإذا كانت الدراسة قد تمت على هذا النحو فذلك بتوفيق من الله ، وإذا فات الدراسة شيء ، فذلك لأن القرآن أسرار لا تنتفد ، ومعانيه في حاجة دائمة للبحث والتأمل ، فرجاء إلى الله أن تُحتسب مثل هذه الأعمال عنده ؛ إنه نعم المولى ونعم النصير .

د. عزيزة عبد الفتاح الصيفي

مَتَيْدُ

سورة القمر ، تتحدث آياتها عن اقتراب يوم القيامة ، وجاء من علامات اقترابه انشقاق القمر .

وهي سورة مكية، تبلغ آياتها خمساً وخمسين آية قيل " كلها مكية في قول الجمهور ، وقيل : هي مكية إلا ثلاث آيات (٤٤ - ٤٦) " ^(١) .

وانشقاق القمر من آيات رسول الله ﷺ ومعجزاته النيرة ، وقد ظهر من يقولون بغير ذلك ، لكن اتفق الجمهور على " أن الانشقاق حدث في أيام الرسول ﷺ " ^(٢) .

والسورة تتحدث عن اقتراب يوم القيامة ، وفيها خطاب تحذيري لأهل مكة الذين تهادوا في عنادهم وكفرهم بأن نار جهنم مصيرهم ، وتحكى السورة لهم أمثلة من الأمم البائدة التي سبقتهم في تكذيب الرسل وكيف أن الله سبحانه وتعالى ، ألحق بهم العذاب في الدنيا قبل عذاب الآخرة فأبادهم عن آخرهم فأوردت السورة قصة قوم عاد وثمود ونوح ولوط عليهم السلام وقوم فرعون وتكذيبهم لموسى وهارون عليهما السلام .

وأول السورة له مناسبة مع آخر السورة التي سبقتها وهي (النجم) في قوله : ﴿ أَزِفَتِ الْأَرْفَةُ * لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ * أَفَمَنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعَجُّبُونَ * وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ * وَأَنْتُمْ سَامِعُونَ * فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا ﴾ (سورة النجم : ٥٧ - ٦٢) .

(١) انظر فتح القدير للشوكاني ١٢٠/٥ ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان .

(٢) الكشف للزمخشري ٤٣٠/٤ ، دار الكتاب العربي ، وفتح القدير للشوكاني ١٢٠/٥ .

ثم يتبع ذلك في سورة القمر ﴿ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ ﴾ .

" ولا يخفى ما في هاتين السورتين من حسن التناسق للتناسب في التسمية لما بين النجم والقمر من الملازمة ، وأيضاً أن هذه بعد تلك في أنها تفصيل لأحوال الأمم المشار إلى إهلاكهم في قوله تعالى : ﴿ وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى * وَثَمُودَ فَمَا أَبْقَى * وَقَوْمَ نُوحٍ ... ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَى ﴾ (سورة النجم : ٥٠ - ٥٣) ^(١) .

ويقال إنها نزلت بعد سورة الطارق، وتسمى في التوراة (اقتربت) كما سميت " المبيضة ، تبيض وجه صاحبها يوم تبيض الوجوه " ^(٢) .

وعن فضل من يقرأها قال رسول الله ﷺ : " من قرأ (اقتربت الساعة) في كل ليلة بعثه الله يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر " .
وقيل : إن النبي ﷺ كان يقرأ (قاف واقتربت) في الأضحى والفطر ^(٣) .

(١) مجمع البيان للطبرسي ٦٥/٢٦ ، مكتبة الحياة ، بيروت ، لبنان .

(٢) فتح القدير للشوكاني ١١٩/٥ .

(٣) المرجع السابق ١١٩/٥ .

التحليل البلاغى فى سورة القمر المبحث الأول مقدمة السورة

﴿ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ * وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرَضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ * وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقَرٌّ * وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ * حَكَمَةٌ بِالْغَةِ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ ﴾ (القمر: ١-٥).

قال تعالى : ﴿ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ ﴾ .

كان انشقاق القمر ورؤية الناس له من علامات اقتراب يوم القيامة، كما أبلغ الله تعالى رسوله الكريم فى هذه السورة ، والآيات الأولى تتحدث عن ذلك ، ومع ذلك كان هناك المعاندون والمعرضون عن الإيمان بالله وباليوم الآخر ، واستمروا فى تكذيبهم للرسول ﷺ ، واتهموه مرة بأنه ساحر وأخرى بأنه شاعر ، ولقد جاءهم ربهم بأخبار الأمم البائدة عليهم يتعظون ويؤمنون ، لكنهم ظلوا على كفرهم وعنادهم. وانشقاق القمر من الحقائق التى ذكرها القرآن الكريم " وهو الحجة البالغة والمعجزة الخالدة للأسلوب العربى فى فصاحته وبلاغته قد زخر بالحقائق اللفظية وعبر بها فى كثير من الآيات بل إن أكثر آى القرآن قد أتى على الحقيقة " (١) .

بدأت السورة بفعل ماض ، قال (اقتربت) تحقيقاً لوقوعها وأن ذلك مما لاشك فى حدوثه، ثم عطفت جملة (انشق القمر) على (اقتربت) ، فانشقاق القمر يعنى : انفصال بعضه عن بعض ليصبح فلقين ، وقد ثبت فى الكتاب والسنة أن ذلك حدث فى أيام النبى ﷺ لا فى يوم القيامة، " وفى الكلام تقديم وتأخير أى انشق القمر واقتربت الساعة " (٢) .

(١) البرهان للزركشى ٢/٢٥٥ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، عيسى الحلبى .

(٢) فتح القدير للشوكاني ٥/١٢٠ ، دار إحياء التراث العربى بيروت ، وانظر لباب التأويل فى معاني التنزيل للخازن ٦/٢٧٢ ، ط الحلبى .

والقرب فى الآية ليس معناه القرب بمفهوم البشر وحسابهم للوقت، وإنما بالمفهوم الإلهى للوقت ، بدليل أن الله سبحانه وتعالى أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى وصعد به إلى السماء ثم عاد به إلى بيته فى أرض الجزيرة العربية ، كل ذلك بحساب البشر يحتاج إلى أدهر زمنية ليتم ، لذلك فإن قوله (اقتربت) لا يعنى القرب السريع حسب تقديرنا نحن للزمن، وإنما قرب بتقدير الله سبحانه للزمن.

وجاء الوصل^(١) بالواو : لأن الفعلين ماضيان، فإن جملة (انشق معطوفة على جملة (اقتربت) لأنه قصد إشراكها فى الإعراب وهو ما يسمى التوسط بين الكمالين للاتفاق فى الخبرية وزمن الفعل وقد يكون التعبير بالماضى فى (اقتربت) كناية عما سوف يحدث فى المستقبل .

ويذكر الألوسى " أن المراد باقتراب الساعة ، القرب الزمنى الشديد ، وكل آت قريب والباقي بالنسبة للماضى شئ يسير " ^(٢) .

وتعريفها (بآل) دل على أنها ساعة معلومة محددة لفناء العالم والبعث من جديد . والمعنى : اقترب موعد القيامة ، والبعث ، ولأن البعث سوف يحدث فى ساعة معلومة فقد ذكر (ساعة) للدلالة عليه .

قال تعالى : ﴿ وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعَرِّضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴾ .

(١) يجب الوصل إذا كانت الجملة الأولى لها محل من الإعراب وأريد إعطاء هذا المحل الإعرابى للجملة الثانية . الإيضاح للخليل القزوينى تحقيق د. عبد الحميد هندوى ص ١٤٩ ، مؤسسة المختار ، القاهرة .

(٢) انظر روح المعانى للألوسى ٢٧/٧٧ ، دار إحياء التراث العربى ، بيروت ط ٤ .

والواو: استثنائية^(١)، و(إن يروا آية) يعنى : كلما رأوا آية فعبى
بالفعل المضارع لإفادة الاستمرارية والتتابع " فالاستمرار بمعنى
الاطراد يقال اطراد الشئ تبع بعضه بعضاً " ^(٢) . فالكفار أعماهم كفرهم
عن الحق، كلما رأوا معجزة من الرسول ﷺ يتهمونه بالسحر بل ويعتبرونه
مستمراً فى سحره . وجاء (سحر) نكرة ، والمعنى (هذا سحر) أو
(إنه سحر) ، والتكثير لإرادة عدم الحصر وانخفاض الشأن ^(٣) .

وقوله : (يعرضوا) جواب الشرط مضارع مستمر ، يدل على
عنادهم الشديد، وأنهم جاهزون للإعراض بمجرد ظهور آية للرسول ﷺ
وأن ظهور الآية يتبعه الإعراض ، وجملة (ويقولوا) معطوفة على
(يعرضوا) لاتفاق الجملتين فى الخبرية وزمن الفعل ، فهم لا يكتفون
بالإعراض بل يعتبرون هذه المعجزات ، دليل سحره ﷺ المستمر ،
وقيل : " مستمر قوى محكم " وقيل : هو من استمر الشئ إذا اشتدت
مرارته ، وقيل : مستمر أى : مار بمعنى ذاهب يزول ولا يبقى ، تمنية
لأنفسهم وتعليلاً ^(٤) .

وسواء كان(مستمراً) بمعنى: مطرد، أو مر غير مستساغ، أو مار
يذهب ويزول أو بمعنى: " قوى وشديد كالحبل إذا مرّ أى أحكم فتله " ^(٥)،

(١) وتقع الواو الاستثنائية فى أول جملة مستقلة المعنى عن الجملة التى سبقتها . انظر

المعجم الوسيط فى الإعراب ، صنفه د. نايف معروف ، دار النفائس بيروت .

(٢) روح البيان للبروسى ٢٦٧/٩ " المكتبة الإسلامية .

(٣) راجع أغراض التكثير فى بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح : عبد المتعال الصعدي

١٩٦ ، دار السعادة .

(٤) للكشاف للزمخشري تحقيق محمد مرسى عامر ٤٣١/٤ ، دار المصنف .

(٥) تفسير البغوى ٢٣٥/٤ (معالم التنزيل) دار الكتب العلمية بيروت .

فكلها معانٍ تدور في فلك واحد ، يراد منها أن الكفار لما رأوا تتابع الآيات والمعجزات ، زاد عنادهم وعصيانهم للحق .

ووصف السحر بأنه (مستمر) أى متواصل لا يتوقف اسم فاعل دل على التتابع ، وأنه مما تعودوا على رؤيته وألفوه حسب اعتقادهم من أن ما جاء به الرسل هو سحر وفي الصفة ما يدل على عدم الاكتراث والاستهانة بما يرون من آيات ثبتت عن الرسول الكريم وقوعها .

والنقيض (بأن) الشرطية في (وإن يروا) دليل على " تعاميمهم عن رؤية آيات الله الواضحة الجلية ورفضهم لرؤيتها والنظر إليها مكتبرين"^(١).

وتنكير (آية) للشمول ، وللتأكيد على أنها آيات كثيرة كلما رأوا إحداها أنكروها .

لاحظ شيوخ حرف (الراء) في ألفاظ الآيتين والفاصلة أيضاً وما يحدثه من التنعيم بسبب تكرار الحرف الذي يحدث ذهبات عند أداء الصوت المتحرك^(٢) .

كما يمكن ملاحظة اتفاق الفاصلة (السجع) في الآيتين : ﴿ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ * وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ ﴾ من المتوسط ، أى أن الآيتين ليستا قصيرتين ولا طويلتين ، فلا يحسن أن تولي قرينة قرينة أقصر منها كثيراً^(٣) . والفاصلتان من (المطرقة)

(١) من بلاغة النظم القرآني د. بسيوني عبد الفتاح فيود ٦٦ ، ط١ الحسين الإسلامية .

(٢) راجع حركات الأصوات (الراء) صوت لثوي متردد ، ويسمى هذا الصوت على صورة سلسلة من الانحباسات والانفجارات القصيرة . من كتاب أصول اللغة : د. عبد الرحمن أيوب ٣٠٣ ، م . الشباب ، القاهرة .

(٣) السجع إما قصير أو طويل أو متوسط . راجع الإيضاح ٣٤١ ، ٣٤٢ . وأنوار الربيع في أنواع البديع للمدني ٢٥٢/٦ .

فإنهما " منفتقان في حروف السجع ، متباينتان في الوزن " (١) .
قال تعالى : ﴿ وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقَرٌّ ﴾ .
وقد جاء الفعلان (وَكَذَّبُوا ، وَاتَّبَعُوا) بالماضي " للدلالة على التحقق " (٢) .
فما داموا قد حكموا بأن ما جاء من آية هو سحر ، فهذا يعنى
تكذيبهم لها ، وهم فى ذلك متبعون أهواءهم .

والواو : استئنافية . وقد تكون حالية بمعنى وحالهم بعد أن قالوا
أنه (سحر مستمر) أن كذبوا رسول الله ﷺ ، وجملة (اتبعوا) معطوفة
لإشراكها فى حكم الأولى (كذبوا) أى كذبوه واتبعوا أهواءهم التى
زينها لهم الشيطان واتباع الأهواء مجاز بالاستعارة المكنية (٣) من تشبيه
الأهواء بمن يتبعونهم ويسيرون وفق ما يملئ عليهم ، فحذف المشبه به
وذكر الفعل (اتبعوا) صفة من صفات الحى لتجسيد الأهواء وجعلها
أمرأ محسوساً للدلالة على سوء منهجهم وحقارة مسلكهم الذى يودى بهم
إلى النار .

(وكل أمر مستقر) الواو مستأنفة ، " لتقرير بطلان ما قالوه من
التكذيب واتباع الأهواء ، أى وكل أمر من الأمور منته إلى غاية ،
فالخير يستقر بأهل الخير والشر يستقر بأهل الشر " (٤) . وتكذيبهم يعنى

(١) انظر البرهان فى علوم القرآن ٧٥/١ ، ٧٦ تحقيق محمد أبو الفضل ، دار المعرفة
بيروت . والاثقان للسيوطى ١٠٤/٢ ج ٣ ، ٤ دار التراث ، القاهرة .

(٢) روح المعانى ٧٨/٢٧ .

(٣) الاستعارة المكنية : هى أن يضمّر التشبيه فى النفس ، فلا يصرح بشئ من أركانه
سوى لفظ المشبه ، ويدل عليه بأن يثبت للمشبه أمر مختص بالمشبه به ، من غير أن
يكون هناك أمر ثابت حساً أو عقلاً أجرى عليه اسم ذلك الأمر (الإيضاح ٢٧٧) .

(٤) فتح القدير للشوكانى ١٢١/٥ ، دار إحياء التراث العربى بيروت .

أنه " ليس مقصوراً على آية انشقاق القمر وإنما على كل ما أتى الله على يد رسوله الكريم من معجزات وآيات ، وأن هذا التكذيب واتباع أهوائهم من عاداتهم التي ألفوها ودرجوا عليها " (١) .

(وكل أمر مستقر) ، أى : كل أمر لابد أن يصير إلى غاية يستقر عليها، وإن أمر محمد ﷺ سيصير إلى غاية يتبين عندها أنه حق، أو باطل ، وسيظهر لهم عاقبته ، أو كل أمر من أمرهم وأمره مستقر ، أى : سيثبت ويستقر على حالة خذلان أو نصره في الدنيا ، وشقاوة أو سعادة في الآخرة ، وقرئ بفتح القاف ، يعنى : كل أمر ذو مستقر أى : ذو استقرار ، أو ذو موضع استقرار أو زمان استقرار " (٢) .

وفى كل الأحوال فإن (أمرٌ مستقر) كناية عن الاستقرار فى نهاية المطاف ، وأن الانتهاء إلى غاية يعلمها الله أمر متحقق لا شك فيه، وفى ذلك " وعيد للمشركين ووعد للمؤمنين " (٣) .

تأمل (السين والتاء)^(٤) فى الفاصلة (مستقر) وتألفها وانسجامها الصوتى مع ما قبلها (مستمر) وتجانس اللفظين ، مما يزيد قرعهما من تأكيد قوة الخبر فى (كل أمر مستقر) فإذا كنتم حكمتم بأنه سحر مستمر ، فإن أمر محمد ﷺ مستقر على أنه الحق من ربه .

﴿ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ﴾ .

(١) روح البيان ٢٦٨/٩ بتصرف .

(٢) الكشف ٤٣٠/٤ .

(٣) أضواء بلاغية على جزء الذاريات : د. عبد القادر حسين ٦٧ .

(٤) التاء : صوت لثوى انفجاري مهموس ، والسين : صوت لثوى احتكاكى مهموس .

راجع أصوات اللغة ٣٠٢ ، ٣٠٤ .

الواو : استئنافية . تبدأ بها جملة مستقلة . و (لقد) تفيد القسم للتوكيد والتحقيق ، على أن ما جاء من أبناء الأمم السابقة فيه من العظمة ما يجعلهم يرتدعون .

(جاءهم) أى جاء أهل مكة المعاندين الذين يكفرون بما جاء من الأخبار عن الأمم السابقة وأخبار الآخرة . وقوله (لقد جاءهم) تأكيد على أن الله أخبرهم لكى يتعظوا ، وفى ذلك دليل عليهم يوم القيامة ، يحاسبهم على أنهم عصوا بعد ما جاءهم من الأنبياء ، وأبلغهم بها الرسول ﷺ . وفى قوله (جاءهم من الأنبياء) استعارة فى (جاء) مكنية من تشبيه (الأنبياء) بمن يجئ .

وأمثلة الاستعارة المكنية فى القرآن بالفعل (جاء) كثيرة " فالقرآن حين يصف المعانى وهى الأنبياء بالمجئ والإقبال إنما يعطيها صورة طريفة، ويخلع عليها خصائص إنسانية جديدة لا تحددها الألفاظ حين نجزئ عناصر العبارة، ونعطى لكل لفظ معناه الحقيقى" (١) ، (فالأنبياء) لا تأتى على الحقيقة ، فهى أمر معنوى ، لا يتصف بالحركة المحسوسة وإنما جعل ما علموه من أنباء الأمم السابقة وما حكاه القرآن عنهم كمن جاءهم ليتجسد المعنوى فى صورة محسوسة خيالية ، أكدت المعنى .

و (من الأنبياء) جار ومجرور ، فى موضع الحال من (ما) فى قوله تعالى ﴿ مَا فِيهِ مَزْجَرٌ ﴾ مقدم عليه ، رعاية للفاصلة " (٢) أى : وجاءهم ما فيه مزدر من الأنبياء ، و (من الأنبياء) تفسير لما أبهم فى (ما فيه مزدر) .

و (من) فى (من الأنبياء) للتبويض (٣) ، بمعنى : أن ما جاء بعض من الأنبياء وليست كل ما يعلم الله تعالى من أخبار الغيب عن

(١) القرآن والصورة البيانية ٢٣٨ د. عبد القادر حسين، دار المنار ط١ ، ١٤١٢/١٩٩١.

(٢) روح البيان ٧٩/٢٧ .

(٣) فتح القدير ١٢١/٥ .

الأمم البائدة ، وأن هذا البعض فيه الكفاية لأن يزدجروا ويحسبوا
للآخرة حسابها ، فيخافوا ويتعظوا .

ففى قوله (ما فيه مُزْدَجَرٌ) تجريد ^(١) (بفى) ، بمعنى أن الأكياء
هى فى نفسها زجر وتخويف ^(٢) ، أو أن القرآن الكريم فى نفسه
موضع الازدجار ومظنة له ^(٣) .

و (مُزْدَجَرٌ) ^(٤) على وزن (مُفْتَعَل) لزيادة التأكيد.

ويمكن ملاحظة حروف الكلمة التى تتكون من حروف تشكل مجتمعة
نوعاً من الغلظة والشدة لمن يعى ويفهم ، فإنه رغم تقارب حروفها تدل
على الزجر بشدة والمعنى منفر من المعصية وعظة لمن يتعظ .

﴿ حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ النَّذْرُ ﴾ .

يريد : هى حكمة خبر لمحذوف هو المسند إليه لدلالة السياق
عليه ، أو أن لفظ (حكمة) بدل من (ما) ، وقرئ بالنصب حالاً من
(ما) ^(٥) ، وجاءت (حكمة) نكرة ووصفت بأنها (بالغة) نكرة
أيضاً - لأن فى التذكير إيهام بجعل المتلقى يتخيل ما لا حدود له
ولا قدر لبلوغه ، فهى حكمة بالغة لا يعرف مقدارها إلا الله .

(١) والتجريد : هو أن ينتزع من أمر ذي صفة أمر آخر مثله فى تلك الصفة مبالغة فى
كمالها فيه ، وهو أقسام أربعة : إما بـ (من) أو (فى) أو (الياء) أو بدون أداة .
انظر الإيضاح ٨/٣ .

(٢) انظر أضواء بلاغية على جزء الذاريات ٧٠ ، دار غريب للطباعة والنشر .

(٣) الكشف ٤٣٢/٤ .

(٤) زجر : المنع والنهاى ، والانتهاز ، زجره وازدجره ، فأنزجر وازدجره كان فى
الأصل الزجر ، فقلبت التاء دالاً لقرب مخرجيهما . لسان العرب مادة (زجر) .

(٥) المرجع السابق ٤٣٢/٤ .

و (بالغة) أى بلغت ما لا يمكن إدراكه . والمراد هى إنذار ووعيد.
وقد جعل من صفة الحكمة أنها (بالغة) ، " ولم يجعل البلاغة
من صفة الحكيم " ^(١) على سبيل المجاز العقلي ^(٢) ، علاقته المفعولية أى
بليغ صاحبها ، " ووصف القرآن بالحكمة البالغة فذلك لبلوغه الغاية
المتناهية فى الزجر واحتوائه على الحكمة العلمية والعملية " ^(٣) .

(فما تغن النذر) والفاصلة فى (النذر) متمكنة يتعلق معناها بما
قبلها فإن مجئ القرآن بالأنباء وما فيها من زجر وتخويف إنذاراً
للمكذبين لكن دون جدوى ، و " (ما) منصوبة أى : فأى غناء تغنى
النذر، ففي الآية نفى أو إنكار " ^(٤) أى لا جدوى منها .

ونفى الخبر فى الآية ﴿ فَمَا تُغْنِ النَّذْرُ ﴾ يأتى على خلاف
مقتضى الظاهر فينزل غير السائل منزلة السائل حيث تقدم على الآية ما
يلوح بمضمون الخبر ويضممر فى النفس سؤالاً ، يكون الخبر رداً عليه
فقد سبق قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ﴾ ،
فكان السؤال الذى يتردد هو وهل استجابوا .

وقال تعالى: ﴿ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نَكْرٌ *
خَشَعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنتَشِرٌ *
مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ﴾ (القمر: ٦ - ٨).

(١) الصناعتين لأبى هلال العسكري ١٦ بتصرف ، تحقيق د. مفيد قمiche ، دار الكتب
العلمية .

(٢) المجاز العقلي : هو الكلام المفاد به من خلاف ما عند المتكلم من الحكم فيه لضرب من
التأول إبانة للخلاف لأبواسامة وضع . مفتاح العلوم للسكاكي ٢٠٨ ، وبغية الإيضاح ٨٠ .

(٣) انظر تفسير الخازن ٢٧٤/٦ . والبغوى ٢٣٦/٤ بتصرف ، (معالم التنزيل) دار
الكتب العلمية بيروت .

(٤) الكشاف ٤٣٢/٤ بتصرف .

(فتول) والفاء استئنافية والفعل أمر حقيقي لازم التنفيذ من الله سبحانه وتعالى لنبيه أن أعرض عنهم واتركهم " لعلمك أن الإنذار لا يغنى فيهم " ^(١) . وفي الآية ترك (مقدر) بمعنى : (فتول عنهم إلى يوم) ولأنه مفهوم من السياق ترك ، وقيل: إن الحرف المحذوف (الواو) (لالتقاء ساكنين) ^(٢) ، وبشيء من التأمل يلحظ أن الجملتين تم الفصل بينهما لاختلافهما خبراً وإنشاءً فالأولى إنشائية (فتول) والثانية خبرية (يوم يدع الداع) وهي كناية عن يوم القيامة ، حين يدعو الداعي أى : ينفخ في الصور فيبعث الناس من أجدانهم .

و (الداع) إما حقيقي كما ذكر - " إنه إسرافيل أو جبريل " ^(٣) ، وقد يكون مجازياً بمعنى تجسيد نفاذ مشيئة الله وأمره في صورة داع يدعو الناس للقاءه على سبيل الاستعارة ^(٤) التصريحية الأصلية في (الداع) والمراد يوم تتم فيه مشيئة الله وإرادته في الكون أى يوم القيامة. وحذف (الياء) من (الداعي) (مبالغة في التخفيف) ^(٥) .

﴿ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعُ إِلَى شَيْءٍ نَّكَرٍ ﴾ .

والمراد : (فتولى عنهم إلى يوم يدع الداع) و (إلى) مفهومة من السياق لذلك لم تذكر .

(١) المرجع السابق ٤/٤٣٢ .

(٢) روح البيان ٩/٢٦٩ .

(٣) الكشاف ٤/٤٣٢ .

(٤) الاستعارة التصريحية الأصلية : هي اللفظ المستعمل في غير ما وضع له لملاحة المشابهة فإذا كان اللفظ المستعار اسماً جامداً فهي استعارة أصلية. راجع القرآن والصورة البيانية ١٩٣: ٢٠٢ .

(٥) روح المعاني ٢٧/٧٩ ، روح البيان ٩/٢٦٩ .

والأمر من الله لرسوله يقول له : أعرض عن هؤلاء الكفار
المكذبين رغم رؤيتهم آيات الله فإنهم لا يرتدعون فالأمر حقيقي ملزم
لرسوله الكريم ، أن يتولى عنهم ، و (الفاء) سببية ^(١) بمعنى : تول
عنهم يا محمد بسبب إنكارهم وتكذيبهم لما يرون من معجزات جنت بها
وتركوك واتبعوا أهواءهم .

" والنكر : من نكر الأمر : صعب واشتد ، وكذلك معناه : الأمر
المجهول " ^(٢) ، وهو الأمر " الذى ينكرونه استعظاماً لعدم تقدم العهد
لهم بمثله " ^(٣) .

وقوله (إلى شئ نكر ^(٤)) تهويل وبيان لصعوبة وشدة هذا الشئ
المبهم المجهول ، فإن لفظ (شئ) يجعله أمراً هيناً لكن وصفه بأنه (نكر)
بياناً لكونه أمراً فظيماً ينتظر الكفار يوم القيامة، وهكذا جاء لفظ الفاصلة
مناسباً لبيان (شئ) كما جاء مؤثلاً مع الفاصلة قبله (نذر - نكر) إذ
اتفقتا فى الهيئة بالإضافة إلى النون والراء .

ويمكن ملاحظة جناس الاشتقاق بين (يدع ، الداع) فالفعل
والاسم من مادة (دعا) .

قال تعالى :

﴿خُشِعَا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ﴾.

(١) الكشاف ٤/٤٣٢ .

(٢) لسان العرب مادة (نكر) .

(٣) فتح القدير ٥/١٢١ .

(٤) نكر : بضم النون والكاف أى : شئ صعب واشتد ، والنكر : المجهول (لسان

العرب مادة : نكر) .

والخشوع^(١) يوم القيامة ، ذكر أكثر من مرة بأساليب مختلفة .

و " خشوع الأبصار : كناية عن الذلة والانتخزال ، لأن ذلة الذليل وعزة العزيز تظهران في عيونهما لذلك يمكن اعتبار ذكر الأبصار مجازاً مرسلأً من ذكر الجزء وإرادة تمام الخشوع للإنسان بحيث يعرف خشوعه من مظهره وحركاته . يريد : إن هؤلاء المعاندين يخرجون من الأحداث يوم القيامة أزلة أبصارهم ، من هول ما يرون من هذا الشيء النكر كما وصفه الله تعالى . وتقديم الحال في (خشعاً) " لتصرف العامل يخرجون وللاهتمام " ^(٢) كما عبر عنها بالجمع (خشعاً) " لأن الجمع فيه معنى الكثرة كما أنه يستعار لقوة الصفة " ^(٣) .

والفصل في (يخرجون) لأنها بيان وتفسير لقوله (خشعاً) ، بمعنى (تخشع) أبصارهم وهم يخرجون من الأحداث : أي القبور ، والخشوع لا يكون للأبصار فقط وإنما يكون للإنسان كله في حالة خشوع فعبر بالجزء وأراد الكل على سبيل المجاز المرسل لعلاقة الجزئية .

ومن الملاحظات الدقيقة في تصوير خشوع الكفار يوم القيامة :
" إن خشوع المؤمنين لله يكون في الدنيا ، وخشوع الكفار والمجرمين والظالمين يكون في الآخرة ، وسره البياني هو أن خشوع الكفار

(١) فمن ذكر الخشوع قوله تعالى : « وجوه يومئذ خاشعة » وصف الكفار بأن وجوههم حزينة زليلة ، وخص الوجه بالنكر لأن الحزن والسرور يبدو أثرهما على الوجه ، فعبر بالوجه وأراد أصحابها من التعبير بالجزء وإرادة الكل لعلاقة الجزئية . انظر القرآن والصورة البيانية ١٨٠ ، ١٨١ .

(٢) روح المعاني ٨٠/٢٧ .

(٣) الإعجاز البياني في صيغ الألفاظ: د. محمد الأمين الخضري ٢٣٧، طبع الحسين ط١

لا يكون إلا بعد أن يأتي اليوم الذي يدعون فيخشعون خوفاً ورهبة وذلة، على حين يخشع المؤمنون في الدنيا عن صدق وإيمان وتقوى وخشية لله * (١) .

وفي الواقع فإن المؤمنين يخشعون لله في الدنيا والآخرة ، فالخشوع لله دائم ومتواصل لأن خشوع المؤمن يوم القيامة كما كان في الدنيا حباً في الله ورهبة من لقائه ورغبة في طاعته، وليس كخشوع الذل الموصوم به الكفار يوم البعث .

وفي قوله ﴿ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ﴾ صورة تشبيهية من تصوير المحسوس بالمحسوس، تمثل أوقع صورة لحال الناس وهم يخرجون من الأجداث خشعاً أبصارهم منتشرين في كل مكان ، فشبههم بهيئة الجراد المنتشر ، بجامع الكثرة والانتشار مع التموج والتدافع ، فإن قيل أداة التشبيه (كأنهم) متعلق بالصورة ، فإن حال الناس عند خروجهم حال الذليل الخاشع المتدافع دون إرادة منه وإنما هي دعوة الحق يليبها دون تفكير في خطورة الموقف وصعوبته فهو حينها المأمور بالطاعة ، لا يعرف أين يتوجه فالجميع يتخبط في سيره ، يتلاطم كتلاطم الموج ، حيث يقول الله تعالى : ﴿ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ ﴾ (٢) وقد شبههم في آية أخرى بالفراش المبتوث في قوله ﴿ يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ ﴾ (٣) ، وكلها صور تدل على الحركة السريعة مع التخبط والترنح في كل اتجاه .

(١) الإعجاز البياني للقرآن : د. عائشة عبد الرحمن ٢١١ ، دار المعارف ، القاهرة .

(٢) سورة الكهف : آية ٩٩ .

(٣) سورة الفارعة : آية ٤ .

وقد تكون الصورة من تشبيه الناس بعامية - وليس للكفار بخاصة " بالجراد المنتشر إذا توجهوا إلى المحشر " ^(١) وحتى مع علمهم بالمقصد الذي يتوجهون إليه ، فإن ذلك لا يمنع كونهم في حالة من سلبت إرادته عند البعث والانتشار فيهم على وجه مترنحاً من هول ما يرى ، ويمكن ملاحظة كيف جاءت الفاصلة (منتشر) صفة للجراد زيادة في بيان الصورة التشبيهية ومراعاة لانتلاف الفواصل .

قال تعالى: ﴿مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ﴾.

والمعنى : أن هؤلاء الكفار حالهم يوم يدعُ الداع يكونون " مسرعين إلى جهة الداعى ، ماضى أعناقهم إليه أو ناظرين إليه لا يقلعون بأبصارهم " ^(٢) .

والحال (مهطعين) اسم فاعل وهو فعل قليل الاستعمال، وقد عبر بتركيبه حروفه المتباعدة المخارج عن السرعة غير الطبيعية مع تركيز البصر ومد العنق إلى الأمام ، فإن الفعل هطع معناه : " أقبل على الشيء ببصره فلم يرفعه عنه " ^(٣) .

وفى قوله (يقول الكافرون) رغم أنه سياق ضمير الغيبة ، لكن القارئ للآية يستشعر الالتفات وليس بالالتفات حسب القاعدة البلاغية ، فبعد أن ذكرهم بضمير الغائب فى (مهطعين) يعرفهم بنكر صفتهم (الكافرون)، ولو قال (يقولون) لعرفوا بالضمير ، ولكن السر فى ذكر ^(٤)

(١) روح المعاني ٨٠/٢٧ ، وانظر من بلاغة النظم القرآنى : د. بسيونى عبد الفتاح فيود ٢٠٢ : ٢٠٤ . وراجع القرآن والصور البيانية ٤٧ .

(٢) انظر الكشف ٤٣٢/٤ . وروح البيان ٢٧٠/٩ . وابن كثير ٢٦٤/٤ .

(٣) لسان العرب ، مادة (هطع) .

(٤) راجع أغراض النكر فى بغية الإيضاح : عبد المتعال الصعدي ٩٤ ، دار السعادة ٢٠٠٥/١٤٢٦ .

اسمهم للتذكير والتقرير وتثبيت صفة الكفر فيهم ، وكان (المهطعين ، غير الكافرين) فهم أنفسهم الذين يسارعون وهم يرددون (هذا يوم عسر) وفي الجملة كناية عن صفة وهي صعوبة الموقف في ذلك اليوم وشدته وفضاعة ما يرون فيه .

وقيل إن جملة " يقول الكافرون ... " مستأنفة ، جواب لسؤال مقدر " (١) من شبه كمال الاتصال ، أى : وماذا يقول الكافرون ؟ وكأن المراد من الجملة المستأنفة أن يستثنى المؤمنون ، ليكون يوماً عسراً على الكفار وحدهم " ففي إسناد هذا القول إلى الكفار دليل على أن هذا اليوم ليس بشديد على المؤمنين " (٢) . فهو يوم سهل عليهم صعب على الكافرين .

(١) تفسير أبى مسعود ١٦٨/٨ . وفتح القدير ١٢٢/٥ .

(٢) تفسير أبى مسعود ١٦٨/٨ . وفتح القدير ١٢٢/٥ .

المبحث الثاني

قصة قوم نوح

تنتهي الآيات الثمانية السابقة ليبدأ الحديث عن الأمم البائدة ، ليكون برهاناً على قدرة الله فيخاف الكافر ، ويعود إلى ربه وتبدأ القصة الأولى بقوله تعالى :

﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ *
فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ * فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ
مُنْهَمِرٍ * وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ *
وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسْرٍ * تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءَ لِمَنْ كَانَ كُفِرَ ﴾
(القمر : ٩ - ١٤) .

وذكر قصص الأمم السابقة ، جاء كما قيل تسليية وتسرية للرسول الكريم وتهينة له ، بعد عناد الكفار المستمر له واتهامه بالسحر ، فالمراد : إنك يا محمد لا تبتئس ولا تحزن ، لأن الأمم التي سبقت وكذبت رسلها انتهى أمرها فإن قوم نوح عندما كذبوه ، واتهموه بالجنون ، وأحس أنه مغلوب على أمره ، دعا ربه ان ينصره ، فنصره عليهم ، بأن فتح عليهم الماء من السماء ومن الأرض ، والتقى ماء السماء بماء الأرض ، فأغرقهم الله جميعاً ، ونجى نبيه .

يقول تعالى : ﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ ﴾ .

والمعنى : وقوم نوح الذين كذبوه واتهموه بأنه مجنون وازدجر
فإن أول ما يلفت في الآية تكرار^(١) فعل الكذب ، قيل " إن المعنى :
كذبوا فكذبوا عيونا أى : كذبوه تكذيباً على عقب تكذيب ، كلما مضى
منهم قرن مكذب تبعه قرن مكذب أو كذبت قوم نوح الرسل فكذبوا
عيونا . أى لما كانوا مكذبين بالرسل جاحدين للنبوة رأساً : كذبوا نوحاً ،
لأنه من جملة الرسل " (٢) .

وقيل : " الفاء في قوله (فكذبوا) تفسيرية ، تفصيلية تعييبية فى
الذكر ، فإن التفصيل يعقب الإجمال " (٣) .

وغريب هذا الأسلوب الذى ما هو بالالتفات ، ولكن كأنه التفات
لأن تكرار الفعل بهذه الطريقة يلفت الانتباه ، وتعريف قومه بإضافة
نوح عليه السلام " للإغناء عن تفصيل متعذر " (٤) ، ولأنهم لم يكن لهم
اسم يعرفون به " (٥) .

وقيل إن تكرار الفعل فيه " تفسير لذلك التكذيب المبهم ، وفيه
مزيد تقرير وتحقيق للتكذيب ، كما فى قوله تعالى ، ونادى ربه إنى
مغلوب فانتصر ، أى ونادى نوح ربه " (٦) .

(١) والتكرار : هو أن يأتى المتكلم بلفظ ثم يعيده بعينه سواء كان اللفظ متفق للمعنى أم
مختلفاً ، أو يأتى بمعنى ثم يعيده (الفوائد - المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان)
لابن قيم الجوزية ، القاهرة ١٣٢٧هـ . والجامع الكبير ، تحقيق د. مصطفى جواد
وآخر ، بغداد ١٣٧٥هـ / ١٩٥٦م . وخزانة الأئمة ١٦٤ .

(٢) الكشاف ٤/ ٤٣٣ .

(٣) روح البيان ٩/ ٢٧١ .

(٤) بغية الإيضاح ١١١ .

(٥) روح المعاني ٨٤/ ٢٧ .

(٦) تفسير أبى مسعود بتصريف ٨/ ١٦٩ .

و " إضافة العبودية^(١) إلى نون العظمة في قوله تعالى : " عبدنا " تفخيم له عليه السلام ورفع لمحلّه ، وزيادة تشنيع المكذّبين ، كما أن فيه إشارة إلى شرف العبودية لله وحده ، فإن الذلة الحقيقية التي يقابلها مقام الربوبية مختصة بالله تعالى كذلك العبودية مختصة بالعبد وهي المرادة بالتواضع " (٢) .

(قالوا مجنون) أى هو مجنون، والضمير^(٣) محذوف لدلالة السياق، وللتقليل من شأنه ، وقيل اتهمه بالجنون " مبالغة فى التكذيب " (٤) والصحيح أنهم بعد أن كذبوه لم يكتفوا بذلك بل وصفوه بالجنون ، زيادة فى التأكيد على أن ما جاء به نتيجة اختلال فى العقل ، والمختل عقلياً لا يستمع إليه أصلاً باعتبار أن كل ما يقوله هراء فلكى يفصلوا فى القول ولا يدعوا مجالاً لمن يتشكك فى كلامهم ويظن أنه صادق قطعوا بأنسه مجنون وازدجر أيضاً .

وجملة (وازدجر) فعل ماضى مبنى للمجهول، معطوفة على قالوا.

وقيل : إن الجملة " من كلام الله تعالى ، وإخبار منه بأنهم نهروه عن التبليغ بكل أنواع الأذى من شتم وضرب " (٥) " الوعيد بالرجم " (٦) .
وقيل " إن (ازدجر) من جملة ما قالوه أى هو مجنون وقد ازدجرته الجن وتخبطته " (٧) .

(١) راجع أغراض التعريف بالإضافة ١١٠ ، ١١١ .

(٢) روح البيان ٢٧١/٩ .

(٣) راجع أغراض الحذف فى بغية الإيضاح ٩١ : ٩٣ .

(٤) تفسير أبى مسعود بتصريف ١٦٩/٨ .

(٥) روح البيان ٢٧١/٩ .

(٦) الكشاف ٤٣٣/٤ .

(٧) تفسير أبى مسعود ١٦٩/٨ والكشاف ٤٣٣/٤ .

فجاءت الفاصلة (وازدجر) متممة المعنى ممكنة على القول بالعطف وفيها زيادة توضيح لدرجة جنونه على القول بأن الجن ذهبت بلبه وطارت بقلبه ، لذلك جاء الفعل مبنياً للمجهول ، وليحتمل أكثر من تفسير . والرأى : أنهم لما قالوا عنه إنه كاذب ومجنون كان ذلك أدعى أن يزدجره الناس، فالفاعل فى الفعل المبني للمجهول يعود على الكفار . بدلاً من قوله (وازدجروه) كنوع من لفت الانتباه بدليل قوله بعد ذلك (أنى مغلوب فانتصر) .

قال تعالى : ﴿ فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرٌ ﴾ .

و (الفاء) للترتيب والتعقيب فبعد أن اتهم بالجنون وازدجر من قومه ، أو من الجن ، حسب بعض الأقوال ، فإنه شعر بأنه مغلوب على أمره ، لا يقدر على مواجهة القوم الضالين ، (دعا ربه) ، فقال (أنى مغلوب) جملة من الضرب^(١) الطلبى المؤكدة (بأن) كأنه قال : إنى أنا مغلوب على أمرى من قومى ، وطلب من ربه أن ينتصر فجاءت الفاصلة القرآنية فعلاً مسبوقاً بالفاء (فانتصر) أمر^(٢) خرج إلى معنى الدعاء ، ويطابق قوله (مغلوب) مطابقة بين اسم وفعل .

والانتصار هنا بمعنى الغلبة على الظالمين فقد دعا نوحاً ربه ، أن ينتصر له أى يؤازره ويساعده لتحمل مشقة عنادهم واتهامهم له بالجنون.

(١) أضرب الخبر ثلاثة: (١) ابتدائي بدون مؤكد . (٢) طلبى بمؤكد واحد . (٣) إنكارى بأكثر من مؤكد (راجع بغية الإيضاح ٦٨) .

(٢) الأمر من الأساليب الإنشائية التى تأتى لأغراض بلاغية متعددة . راجع أساليب بلاغية : د. أحمد مطلوب ١١٠ : ١١٦ وكالة المطبوعات ، الكويت ط ١ ، ١٩٨٠ .

قال تعالى : ﴿ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ ﴾ .

و (الفاء) استئنافية ، ونون العظمة لله متصلة بالفعل الماضي، (ففتحنا) للدلالة على أن فتح السماء كان بإرادة الله تعالى ، والفعل مجازي ، على سبيل الاستعارة^(١) التبعية بمعنى فدفعنا الماء من السماء، وقد يكون استعارة مكنية من تشبيه السماء بالبناء له أبواب تفتح ، فيندفع منها الماء بلا توقف ، ثم حذف البناء ، وذكر شيئاً من لوازمه وهي الأبواب .

وجاءت الفاصلة القرآنية (منهمر) متمكنة مؤكدة على أن الماء دائم الاندفاع لا ينقطع ، فقد ظل منهماً حتى أغرق كل كافر عنيد .

وجاءت (الباء) في (بماء) " للاستعانة وجعل الماء كالآلة لفتح الأبواب " ^(٢) أى كأنه قال بواسطة ماء ، والقصد أن يتخيل السامع اندفاع الماء بمجرد فتح الأبواب أو أن الماء هو الذى فتح الأبواب . أبلغ من قوله (ففتحنا الأبواب وانهمر الماء)

وتتكرر (ماء) ووصفه بـ (منهمر) للدلالة على عظمه وكثرته وغزرائه مع شدة اندفاعه بحيث لا يبقى شيئاً إلا ويغرقه .

قال تعالى :

﴿ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴾ .

(١) إذا كان اللفظ المستعار فعلاً أو اسماً مشتقاً أو حرفاً فهي استعارة تبعية . وتبعية لأن التجوز فيها بطريق التبعية ، انظر شروح التلخيص ١٠٨/٤ .

(٢) روح البيان ٢٧٢/٩ .

والواو تعطف الفعل (وفجرنا) على (ففتحنا) ، للاتفاق فى الخبر وزمن الفعل .

" وقوله (وفجرنا الأرض عيون) أبلغ من (وفجرنا عيون الأرض) ونظيره فى النظم " واشتعل الرأس شيئا " (١) .

والمعنى : أنه " بإرادته سبحانه اندفع الماء من الأرض ، فالأصل أن يتفجر الماء من العيون ، لكنه أراد أن يبالغ فكأنه جعل الأرض كلها أصبحت عيوناً متفجرة بالماء ، وليس فيها جزء إلا وينفجر فيه الماء " (٢) . وقد جعل الفعل بالتشديد (وفجرنا) ليفيد زيادة الاندفاع والانبثاق والقوة والسرعة . وجاءت (عيون) نكرة للتعميم والشمول . ففى تشبيه الأرض بالعيون زيادة مبالغة فى كثرة العيون التى تفجرت فيها أى فجرنا الأرض كلها فأصبحت كالعيون ، تشبيهاً مفرداً محسوساً.

(فالتقى الماء) والفاء للترتيب والتعقيب أى بعد أن انهمر الماء من السماء وتدفق الماء من عيون الأرض التقى الماء ، ولم يقل (الماءان) " لتحقيق أن التقاء الماعين لم يكن بطريق المجاورة والتقارب بل بطريق الاختلاط والاتحاد " (٣) .

وقوله تعالى: ﴿عَلَىٰ أُمُورٍ قَدْرٌ﴾ " أى على حال قدرها الله كيف شاء ، وقيل : على حال جاءت مقدرة مستوية . وهى : أن قدر ما أنزل

(١) الكشاف ٤/٤٣٤ .

(٢) أنوار الربيع فى أنواع البديع للمدنى ١/٢٤٤ . وروح المعانى ٢٧/٨٢ . ومن بلاغة النظم القرآنى ١٤٠ بتصرف .

(٣) تفسير أبى السعود ٨/١٦٩ . وروح البيان ٩/٢٧٢ .

من السماء كقدر ما أخرج من الأرض سواء بسواء ، وقيل : على أمر قد قدر في اللوح أنه يكون وهو هلاك قوم نوح بالطوفان^(١) ، " وكلمة (على) للتعليل "^(٢) ، بمعنى (الأمر) ، والتفسير الأول هو المناسب للسياق . وتعريف (الماء) رغم تكريره في الآية التي سبقت ، للإشارة إلى معهود بين المتكلم والمخاطب .

وجاءت الفاصلة القرآنية مسبوقة بـ (قد) للتوكيد على أن التقاء الماء لم يكن مصادفة ، ولم يكن بلا هدف ، وإنما (على أمر قد قدر) أى مقدر .

قال تعالى : ﴿ وَحَمَلْنَاهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسْرٍ ۚ ۝١٠٠ ﴾

وإسناد الفعل إلى الله عز وجل بـ (نون) العظمة من الأساليب المؤكدة القوية في القرآن لأنه فعل لا يقدر على تحقيقه إلا الله القادر على كل شيء فـ (الواو) استئنافية ، والضمير (الهاء) لنسوح البحار ، يخبرنا الله تعالى أنه قد نجاه من الغرق وحمله " على سفينة ذات ألواح وهى الأخشاب العريضة ، ودسر وهى المسامير التى تشد بها الألواح أحدها دسار ، وكل شيء داخل فى شيء يشده فهو دسر " ^(٣) .

و (ذات ألواح ودسر) كناية عن موصوف ، فهى ^(٤) من الصفات التى تقوم مقام الموصوفات فتتوب منا بها وتودى مؤداها ، بحيث

(١) الكشاف ٤/٤٣٤ .

(٢) روح البيان ٩/٢٧٢ .

(٣) فتح القدير ٩/٢٧٢ .

(٤) الكناية : لفظ أطلق وأريد لازم معناه مع جواز إرادته معه ، وتنقسم إلى ثلاثة : كناية عن صفة ، كناية عن موصوف ، كناية عن نسبة . راجع الشروح للقزوينى وغيره ٤/٢٣٧ ، ط عيسى الحلبى .

لا يفصل بينها وبينها ... وهذا من فصيح الكلام وبديعه " ، أى " لا تجد فرقاً بين ما يدل عليه الوصف وما يحمله الموصوف من معنى ، ومن أجل ذلك لا يجوز هنا أن نجتمع بين الموصوف وصفته ، أى بين السفينة وبين هذه الصفة " (١) .

وهو " كناية عن موصوف بجملة معانٍ وهى الألواح والدرج " (٢) وفيها ما يدل على الضعف فهى مجرد ألواح ومسامير فيها مخاطرة شديدة مع الماء الغزير المدمر فإن فى الفعل (حملناه) الفاعل هو الله مما يدل على رعايته وعنايته وحبه لنبيه ، وإسناد الحمل إلى الله سبحانه إسناد حقيقى أى حقيقة عقلية لأن القصد أن السفينة أبحرت برعاية الله وحفظه من إسناد الفعل إلى المسبب الحقيقى فى الحفظ فالسفينة ما هى إلا أداة سخرها الله لإنقاذ نبيه . وخص النبی نوح بالحمل مع أن السفينة حملت معه من آمنوا به من ذكر الواحد وإرادة الكل على سبيل (٣) المجاز المرسل لأن من معه تبع له .

فلم يقل : وحملته الجارية أو السفينة ، مما يدل على أن النجاة كانت بيد الله المسبب للأشياء ، لا بقوة السبب (السفينة) ، ويؤكد هذا الآية التالية فى قوله تعالى : ﴿ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءَ لِمَنْ كَانَ كُفِرَ ﴾ .

(١) الكشاف ٤/٤٣٤ . ونظر النظم القرآنى فى كشاف الزمخشري : د. درويش الجندى ١٩٦ ، ط نهضة مصر .

(٢) روح المعانى ٨٣/٢٧ .

(٣) المجاز المرسل : هو من المجاز اللغوى : من استعمال اللفظ فى غير ما وضع له لعلاقة مع وجود قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلى . فما كانت علاقته المشابهة يسمى استعارة ، وما كانت علاقته غير المشابهة يسمى مجازاً مرسلأ ، وعلاقته كثير منها السببية والمسببية والجزئية والكلية ... إلخ . انظر الإيضاح ٢١٤٧ : ٢٥١ ، والقرآن والصور البيانية ١٦٩ وما بعدها .

فإن قوله (تجرى بأعيننا) دليل على كمال القدرة الإلهية وبالع
الحفظ والكفاءة " (١) والسفينة لا تجرى فالفعل استعارة تبعية (تجرى)
بمعنى تتحرك ولما كان الجرى أسرع استعير لحركة السفينة على الماء.
والباء حرف جر دخل على الاسم الظاهر (بأعيننا) والجار والمجرور
كناية عن صفة " الحفظ لأنها آتته، تقويها كناية أخرى وهي جمع الأعين
للدلالة على شدة الحفظ والمبالغة في الرعاية " (٢) . فقد عبر بكثرة آلة
الحس الذي يحفظ به الشيء ويراعى من الاختلال والزيغ عن المبالغة في
الحفظ والرعاية " (٣) .

وقيل إن " بأعيننا " مجاز مرسل علاقته الآلية حيث ذكر اسم الآلة
وأريد الأثر الذي ينتج عنها " (٤) . والظاهر من المعنى يتفق مع الرأي
القائل إنه كناية عن الحفظ والرعاية ، وقيل : " إن (الباء) تدل على
الاتصاف والمصاحبة مما يدل على معية الله تعالى وقربه من نوح
وإنجائه له " (٥) .

ومثل ذلك في سورة هود (آية ٣٧) قوله تعالى : ﴿ واصنع
الفلك بأعيننا ووحينا ﴾ " وأهل السنة يأخذون بظاهر الآية دون أن
يعملوا فكرهم أو يجهدوا ذهنهم ، فابن قتيبة يرى أن هذه الآية
وأضرابها تمضى على الحقيقة ، وليس فيها شيء من المجاز ، والمعتزلة
يتناولون مثل هذه الآية بالتأويل حتى تتفق وجلال الله سبحانه " (٦)

(١) من أسرار حروف الجر في الذكر الحكيم ٦٣ .

(٢) الإعجاز البياني ١٠٨ . ومن بلاغة النظم القرآني ٤٠٧ .

(٣) تفسير البيضاوي ٩٦/٥ .

(٤) البرهان ٢٨٣/٣ . والصناعتين ٣١١ .

(٥) من أسرار حروف الجر في الذكر الحكيم ١٧٨ .

(٦) القرآن والصور البيانية ١٤٢ .

" واعتبروا التفسير بالحقيقة هنا ضرباً من السداجة يساعد على نشر التصورات الشعبية ، مما دعا أهل السنة أن يعدلوا عن موقفهم ويقتربوا من موقف الخصوم ، ثم الإيمان بأن هذه الألفاظ لا سبيل إلى إدراك كنهها " (١) .

وجاء قوله (جزاء لمن كان كافر) من نعمة الجملة فهو يريد أن نجاة نوح في السفينة، وغرق فرعون وملئه ، جزاء لهم على كفرهم بالله. وقوله تعالى ذلك بعد حديثه عن نجاة نوح عليه السلام ، نوع من التناظر البديع للنهاية ، والجزاء الذي حصل عليه كل منهما .

ولفظ (كُفِرَ) قرئ بعدة معانٍ ، منها (كُفِرَ) مبني للمفعول والمراد به نوح ، وقيل المراد به هو الله سبحانه وتعالى ، لأنهم كفروا به وجحدوا نعمته ، كما قرئ بفتح الكاف والفاء (كَفَرَ) مبنيًا للفاعل أي جزاء ، عقاباً لمن كفر بالله " (٢) .

و(كان) الفعل الناسخ جاء للتوكيد لأنه كما قيل: " زائد ، كأنه قال: جزاء لمن كفر ولم يؤمن " (٣) . أي جزاء لمن سبق بالكفر وأصر عليه. قال تعالى :

﴿ وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ * فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرٍ *
وَلَقَدْ يَسْرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴾ (القمر : ١٥ - ١٧) .
قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴾ .

(١) انظر الصور الأدبية (فصل المؤثرات الروحية) ٧٤ : ٨٨ ، دار مصر للطباعة .

(٢) فتح القدير ٢٢٣/٥ .

(٣) روح المعاني ٨٣/٢٧ .

قيل " إن الضمير في (تركناها) للسفينة ، أو للفعلة ، أى جعلناها آية يُعتبر بها ، والمذكر : المعتبر " ^(١) . والمعنى " أبقينا السفينة على الجودي حتى رآها بعض أوائل هذه الأمة لتكون آية ودليلاً على قدرة الله ، وعبرة وعظة لمن يعتبر " ^(٢) .

بدأت الآية (بالواو) الاستئنافية ثم (لقد) المؤكدة .

قيل : إن قوله (فهل من مذكر) استفهام تعجيبى من عدم اتعاضهم " ^(٣) ، والحقيقة أنه يمكن أن يكون استفهاماً لإفادة النفي ، بمعنى لا يوجد من مذكر ، أو بمعنى الأمر أى : عليكم بعد أن علمتم الآية وشاهدتوها أن تتعظوا . أى : " هل هناك عاقل يتذكر عاقبة الكفر بالله فيبعد عنه ، أى : ابتعدوا عن الكفر إذا كنتم عقلاء " ^(٤) .

و (من) تدل على أنه لا يوجد ولا واحد يتعظ من هذه الآية الماثلة أمامهم سنين طوال ، والاستفهام موجه لكفار مكة لعلمهم يتعظوا ويتنبهوا فيرجعوا إلى كلمة سواء ، وينقذوا أنفسهم قبل أن يأتى يوم لا تنفع فيه شفاعاة ولا دعاء .

قال تعالى : ﴿ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرٍ ﴾ .

والاستفهام المتعلق (بالفاء) فى (فكيف كان عذابى) بمعنى " التهويل والتعظيم والوعيد " ^(٥) .

(١) للكشاف ٤/٤٣٥ . ودراسات لأسلوب القرآن ١٠١ .

(٢) راجع الكشاف ٤/٤٣٥ . وتفسير أبى السعود ١٧٠ بتصرف .

(٣) راجع أضواء بلاغية على جزء الذاريات ٧١ .

(٤) الإيضاح ١٤٠ . ومن بلاغة النظم العربى ٢/٦٣ .

(٥) انظر تفسير أبى السعود ٨/١٧٠ .

وقد تكرر وسوف يتكرر - لزيادة التأكيد والتنبيه للكفار ، لكي لا يكون لهم حجة على الله يوم القيامة .

قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴾ .

والآية مكررة فقد تعددت مقامات التوكيد بإسناد الفعل إلى الله عز وجل بـ (نون العظمة) في الآيات (١٧ ، ٢٢ ، ٣٢ ، ٤٠) ، فسوف تتكرر مع كل حكاية عن الأقوام السابقة ، كما تكررت آية ﴿ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرٍ ﴾ مع اختلاف في الآية (٣٩) يقول تعالى : ﴿ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذْرٍ ﴾ .. وذلك من إعجاز النظم القرآني ، فإن تكرار القسم في (ولقد يسرنا) والاستفهام في ﴿ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴾ تنبيه وتحذير ، وكذلك الاستفهام في ﴿ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرٍ ﴾ تنبيه وتحذير ، للكفار ولكل معاند ، ودليل إصرار على أن الله سيعاقب كل آثم بائنه ، وسوف يكون عذابه شديد لمن كفر ، والتكرار أيضاً للزجر فهكذا يريهم الله نهاية من كذب وكفر ، كذلك فإن التكرار لكي لا يكون لهم حجة يوم القيامة ، فإن الله نبههم وحذرهم أكثر من مرة ولكنهم صموا وعموا .

إن ترك السفينة على اليابسة لتكون آية وعبرة ، فيها أيضاً إنذار لمن لم يعتبر لذلك جاء قوله تعالى : ﴿ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي ﴾ أي عذابي لقوم نوح ممن عصوا وكفروا ثم إنذار لمن يكذب ولا يعتبر " من الأمم اللاحقة وخاصة قريش ونلاحظ أنه أفرد العذاب ، وجمع الإنذار - في الفاصلة القرآنية - إشارة إلى غلبة الرحمة لأن الإنذار إشفاق ورحمة ، فإذا لم يعتبروا وقع عليهم العذاب مرة واحدة فكانت النعمة كثيرة والنقمة واحدة " (١) ، كما أن ورود الفاصلة جمعاً - أيضاً - لتتلائم مع أخواتها

(١) أضواء بلاغية على جزء الذاريات ٢٧٢ .

من فواصل السورة فيتتابع الإيقاع المتلاحم والصوت المتوازن ، نتيجة اتفاقها في حروف الروى وإن اختلفت في الوزن ، مما يسمى كما ذكر (المطرفة) ، والمراد بالنذر : إنذارى لهم بالعذاب قبل نزوله بهم " ^(١).

قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴾ .

والآية من الأخبار التي أسند فيها الفعل إلى الله عز وجل بنون العظمة ، " للتأكيد في هذا الموطن لتحقيق الفعل ، والإشعار بعظمة القرآن وحاجته إلى قدرة لا يعجزها شئ ألا وهي قدرة الله تعالى ، والإشارة إلى أنه من الأفعال التي يختص بها الله عز وجل دون سواه " ^(٢).

و (اللام) مع (قد) للقسم ، بمعنى : أن الله يقسم لنبيه أنه سهل ويسر القرآن ليذكروا ، أى : " أنزلناه بلغتهم ليتفهموه ، وحويناه أنواع المواعظ والعبر والوعيد ليتذكروا ويتعظوا " ^(٣) ، وقد يكون بمعنى : " ولقد سهلناه للحفظ وأعنا عليه من أراد حفظه ، فهل من طلب لحفظه ليعان عليه . ويجوز أن يكون المعنى : ولقد هيأناه للذكر " ^(٤) .

(فهل من مدكر) قد يراد بالاستفهام معنى " الأمر أى اذكروا واتعظوا " ^(٥) ، وقد يكون الاستفهام إنكارياً بمعنى النفي أى : ليس هناك مدكر ليتعظ .

(١) الكشاف ٤٣٥ .

(٢) دراسات تحليلية للفصاحة والبلاغة والإسناد : د. الشحات محمد أبو سبيت ص ١١٦ ،

ط (بدون) .

(٣) روح المعاني ٢٧٢/٩ .

(٤) الكشاف ٤٣٥/٤ .

(٥) البلاغة علم المعاني : د. أحمد النادى شعبة ١٢٦ ، المحمدية ط ١ .

وقوله (للذكر) يعنى : لكى يذكره كل إنسان ، لا فرق بين واحد وآخر فالقرآن : " ليس كتاب العلماء ، وحدهم أو رجال الدين والفقهاء وحدهم ، وليس كتاب طبقة أو طائفة من الناس ، وإنما هو كتاب رب الناس للناس جميعاً ، كل يأخذ منه على قدر ما يبلغ جهده ويتسع له نفسه وقلبه " (١) .

وتكرار هذه الآية بعد كل قصة يذكرها القرآن فيها معنى " تكرار للوعد والوعيد ، لأخذ العظة والعبرة ، لأن الإنسان مجبول من الطباع المختلفة للشهوات ، ولا يقمع ذلك إلا تكرار المواعظ والقوارع " (٢) .

فتكرار جملة الاستفهام جاء فى أعقاب سرد القرآن لكل قصة من قصص الأمم السابقة التى أوردتها للاعتبار والعظة والتحذير من مغبة الكفر ، ولتقرير مضمون ما سبق من قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ * حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ ﴾ وتنبهياً على أن كل قصة منها مستقلة ، بإيجاب الإدكار كافية فى الازدجار ، ومع ذلك لم تقع واحدة فى حيز الاعتبار " (٣) .

(١) إعجاز القرآن لعبد الكريم الخطيب ٣٠ ط ١ .

(٢) البرهان فى علوم القرآن ٩/٣ .

(٣) تفسير أبى السعود ، بتصرف ١٧٠/٨ .

المبحث الثالث قصة قوم عاد

تبدأ القصة الثانية - قصة عاد - يقصها الله سبحانه وتعالى
للاتعاط - أيضاً - فيذكر خبر قوم عاد الذين كذبوا نبيهم هوداً عليه
السلام .

قال تعالى : ﴿ كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي * إِنَّا أَرْسَلْنَا
عَلَيْهِمْ رِيحاً صَرْصِراً فِي يَوْمٍ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ * تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ
أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ * فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي * وَلَقَدْ بَشَّرْنَا الْقُرْآنَ
لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُّكْثِرٍ ﴾ (القمر : ١٨ - ٢٢) .

والآيات لم يُستدل منها على كيفية التكذيب ، ففي قصة قوم نوح
اتهموه بأنه (مجنون وازدجر) ، وكذبوا رسالته ، ولذلك فإن سياق
الأحداث وعرض القصص متتابعة دليل على أن عاد - أيضاً - كذبوا
نبيهم ، لذلك بدأت الآية بفعل ماضى (كذبت) ، ولم تعطف على
(كذبت) فى الآية (٩) لأنها قصة أخرى وفى زمن ماضٍ آخر وإن
كانت القصص كلها تتوالى فى مقام الحكاية للاتعاط وأخذ العبر .

إذا " القصة مستقلة ولما كان لقوم هود اسم علم وهو (عاد)
ذكروا به لأنه أبلغ فى التعريف " (١) .

والاستفهام فى ﴿ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي ﴾ " للتهويل وأيضاً -
لغرابية نوع التعذيب " (٢) . والمراد انظروا يا أهل قریش كيف كان
عذابي وإنذارى لقوم عاد .

(١) روح المعاني ٨٤/٢٢ .

(٢) تفسير أبى السعود ١٧٠/٨ .

وإضافة ضمير المخاطب الله جلّاله إلى (العذاب) للتهويل من شأنه فإن عذاب الله ما بعده عذاب ، وجاء لفظ (نذر) بدون إضافة ضمير لمراعاة الإيقاع الصوتي في الفواصل ، ولأن الإنذار يكون بما قدم من أخبار عن الأمم السابقة وما حدث لها من عقاب ، يقصها القرآن ويبلغها الرسول و (كان) للدلالة على تحققه على عادته سبحانه في أخباره " (١) .

وبعد أن أجمل العذاب بدأت الآيات التالية بالتفصيل في قوله تعالى:

﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمٍ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ﴾ .

فقد بين الله كيف كان عذابه بأن أرسل عليهم (ريحاً صرصرأ) ، وقد ذكر اللفظ في لسان العرب مادة (صرر) بمعنيين متضادين : شدة البرد وشدة الحر ولها تفسيرات أخرى متعددة ، لكن الأصل في وضع (صرصر) للريح شديدة البرودة .

والصرر : من (صر) في أصل وضعه : شدة البرد ، فإذا أريد التوكيد والاستمرار كرر اللفظ فقل (صرصر) .

وقد قيل إن التفسير (صرصر) بالحارة أنسب لديار العرب ، وقيل (صرصر) يجوز أن يكون من الصرّة وهي الصيحة الشديدة " (٢) ، وباب صرّ وصرصر أي له صوت عال ، ولا تتقاضى لو أن المراد : ريح شديدة البرودة ، لأن بلاد العرب ، رغم جوها الحار معظم السنة ، فإن ذلك لا يمنع بإرادة الله أن تواجه موجة شديدة البرودة في الشتاء ، فما بالناس لو أن الأمر لله .

(١) روح المعاني ٨٧/٢٢ .

(٢) روح المعاني ١١٢/٢٤ .

فالريح التى أرسلها الله كانت شديدة البرودة وتحدث أصواتاً عالية، وقد لاحظ المفسرون أن لفظة (الريح) عندما تأتى مفردة تأتى للشر أما إذا وردت جمعاً فتأتى فى الخير " (١) .

وقوله (إنا) للتوكيد على إرسال الريح من عند الله، ومن المعلوم فى القرآن الكريم أن التعبير بصيغة الجمع تفخيماً وتعظيماً لله جل جلاله، إذ يؤكد أن الريح أرسلت بإرادته وقصداً لتعذيبهم بها .
وقوله (عليهم) للتوكيد، ولم يقل (لهم)، لأن (عليهم) توحى بوقوع العذاب من فوقهم بحيث يشملهم فلا فرصة للنجاة منه .

ووصف اليوم بأنه (نحس) نقيض (سعد)، من إسناد (نحس) إلى (اليوم) إسناداً مجازياً عقلياً، علاقته الظرفية، فإن "نحس اليوم على قوم عاد لا فى ذاته" (٢) .

وقوله (مستمر) زيادة فى الدلالة على استمرار تلك الريح العاتية، فالاستمرار عبر عنه بتكرار اللفظ (صرصر) ووصف اليوم بأنه (مستمر) فإنه "يوم استمر عليهم نحسه ودماره لأنه يوم اتصل فيه عذابهم الدنيوى بالآخرى" (٣) .

وللزمخشري تفسيران : الأول : يكون (مستمر) بمعنى دام حتى أهلكهم، أو استمر عليهم جميعاً كبيرهم وصغيرهم،

(١) المعانى الثابتة فى الأسلوب القرآنى : د. فتحى أحمد عامر (بتصرف) ٦٦، الإسكندرية .

(٢) التحرير فى علم التفسير للسيوطى، تحقيق د. فتحى عبد القادر فريد ٤٣٥، دار المنار .

(٣) انظر تفسير ابن كثير ٢٦٥، دار زهران .

فإن (منقعر) يراد: " المنقطع من أصله يقال قعرت النخلة إذا قلعتها من أصلها حتى تسقط " (١)، وقوله (أعجاز) لأن عجز الشيء مؤخرته، وآخر شيء تصل إليه الريح العجز فإذا اقتلع هلك الإنسان كله .

فالتشبيه تمثيلي ، من تشبيه محسوس بمحسوس .

وقيل " شبه الكفار في طول قامتهم حين صرعتهم الريح وطرحتهم على وجوههم بالنخل المتساقط على الأرض التي ليست لها رؤوس وذلك أن الريح قلعت رؤوسهم أولاً ثم كبلتهم على وجوههم فتدق رقابهم ، وقيل : شبهوا بأعجاز النخل ، لأن الريح كانت تقلع رؤوسهم فتبقى أجساداً بلا رؤوس " (٢) .

وقوله (منقعر) صفة لـ (نخل) بلفظ المذكر ، بمعنى أعجاز نخل خاوية وبلاغة وصف أعجاز النخل (بالمنقعر) والتي يراد بها اقتلاعهم من رؤوسهم ، للدلالة على أن كلاً منهما خلا من كل أثر للحياة ، فالمنقعر : الخاوي " وهنا أخرج ما لم تجر به العادة إلى ما جرت به ، وقد اجتمعا في قلع الريح لهما وهلاكهما إياهما وفي ذلك دلالة على عظيم القدرة والتخويف من تعجيل العقوبة " (٣) .

وقيل : " إن النخل يذكر ويؤنث ، يقال : هذا نخل ، فقال منقعر على التنكير وقوله : أعجاز نخل أى أصول نخل " (٤) .

(١) فتح القدير ١٢٥/٥ .

(٢) انظر الكشف ٤٣٦/٤ وفتح القدير ١٢٥/٥ ومن بلاغة النظم القرآني ٣٠٥ (بتصرف) .

(٣) في الدراسات القرآنية في النقد الأدبي ٨٣ ، ١٧٢ تحقيق محمد خلف الله احمد ، محمد زغلول سلام ، دار المعارف ، ط ٣ مصر .

(٤) الجمان في تشبيهات القرآن للبيضاوي ٢٨١ ، ط بغداد ، والكشاف ٤٣٦/٤ .

والصورة التشبيبية فيها مراعاة لحال المشبه به ووصف دقيق لهيئته ، فإن الريح كما تقلع الرؤوس من أجساد طوال ، وتتركها خاوية من كل حياة ، خالية من الإيمان ، كذلك النخلة ، تقنع فروعها وتكون خاوية مفرغة لا فائدة ترجى من ورائها بعد اقتلاعها وخوائها .

وهى من الصورة التى تثير فى النفوس الرهبة والخوف من الكفر والعصيان فتسرع إلى التقوى وطلب المغفرة من الله . لكن القلوب التى جبلت على التمرد والكفر فلا علاج لها لأنها أصمت وكذلك كان حال الكفار مع محمد رسول الله . فيتكرر قوله تعالى : ﴿ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي ﴾ .

لأن فى تكرار الاستفهام زيادة تهويل لهذا العذاب ، وفيه معنى التعجب من هؤلاء المنكرين رغم ما علموا من أخبار الأولين .

وقيل : إن " الاستفهام للتهويل والتعجب من أمرهما بعد بيانهما - أى العذاب والنذر - فليس فيه تكرار مع ما تقدم " (١) .

وقيل : فيه تكرار مرتين : " لأن الأول فى الدنيا والثانى فى العقبى ، وقيل الأول لتحذيرهم قبل هلاكهم ، والثانى لتحذير غيرهم بعد هلاكهم " (٢) .

(١) تفسير أبى السعود ١٧١/٨ .

(٢) روح المعانى ٢٧٦/٩ . وأسرار التكرار فى القرآن لابن نصر الكرمانى ٨٥ ، تحقيق عبد القادر أحمد عطا ، ط ١ دار الاعتصام .

المبحث الرابع قصة قوم ثمود

وتأتى القصة الثالثة : قصة ثمود مع النبی صالح عليه السلام ، أرسله الله لهم ليتبعوه ، وليهديهم إلى طريق الحق، لكنهم عصوه وكذبوه ، وأنكروا النبوة عليه ، وتساءلوا لماذا يخصه الله بالنبوة وفيهم من هو أفضل منه وأحق بالنبوة حسب ما تدركه عقولهم وما يظنون ، واتهموه بالكذب والضلال والطمع ومع ذلك لم يبدأ سبحانه بعقابهم ، إنما أمهلهم وأراد أن يمتحن درجة التزامهم بالوعد، فأرسل إليهم ناقة أخرجها من صخرة، وطلب من نبيه أن يخبرهم أن الماء الذى يشربونه سوف يكون قسمة بينهم وبين الناقة ، يوم لهم يوم لها ، ولكنهم دفعوا واحداً من الأشقياء فعقرها ، فصب عليهم ربه من العذاب فأهلكهم بصيحة قوية .

يقول الله تعالى : ﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنَّذْرِ * فَقَالُوا ابْشِرْنَا مِنَّا وَاحِدًا نَّتَّبِعُهُ إِنَّا إِذَا لَفِيَ ضَلَالٍ وَسُعُرٍ * أَوْلَقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنُ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌّ * سَيَعْلَمُونَ غَدًا مِنَ الْكَذَّابِ الْأَشِرِّ * إِنَّا مُرْسِلُوا النَّاقَةَ فِتْنَةً لَهُمْ فَارْتَقِبْهُمْ وَاصْطَبِرْ * وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُحْتَضَرٌ * فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ * فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرٍ * إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ * وَلَقَدْ يَسْرَنَّا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَكِّرٍ ﴾ (القمر : ٢٣ - ٣٢) .
قال تعالى : ﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنَّذْرِ ﴾ .

(كذبت) - أيضاً - جملة مستأنفة مستقلة تحكى قصة ثمود ، الذين كذبوا الإنذارات التى تتوالى من رب العالمين على لسان نبيه صالح ،

والنذر : مفردھا (إنذار) . وقد يراد بالنذر (جمع نذير أى الرسول) ، لأنه يكون مننراً لقومه وأهله من العذاب الذى سيقع عليهم وتكذيبهم بأحد الرسل هو تكذيب لجميع الرسل لاتفاقهم على أصول الشرائع " (١) .

وإسناد النذر إلى الفعل (كذبت) ، فيه مجازان ، فإذا كان النذر من الإنذار فالمجاز عقلى من إسناد الفعل لغير فاعله ، أى إسناد الكذب للنذر بدلاً من إسنادها لصاحب النذر ، صالحاً ﷺ .

أما إذا كانت (النذر) من النذير أى : الرسول ، فهو مجاز مرسل علاقته الكلية ، حيث أنهم كذبوا (صالحاً) ، الذى هو واحد من الرسل المنذرين . ذكر كل النذر أى الرسل والمراد : رسول واحد .

قال تعالى : ﴿ فَقَالُوا أَبَشْرًا مِّثْلًا وَاحِدًا نَّتَّبِعُهُ إِنْآ إِذَا لَفِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ ﴾ .

والاستفهام ﴿ أَبَشْرًا مِّثْلًا وَاحِدًا نَّتَّبِعُهُ ﴾ إنكارى تعجبى ، فإن قوم ثمود ، ينكرون أن يكون صالحاً رسولاً مكلفاً من الإله الخالق وهو من البشر ، ويرفضون اتباعه ، ويرون أنهم لو اتبعوه لكانوا فى ضلال وسعر .

يذكر الزمخشري أن صالحاً " كان يقول : إن لم تتبعونى كنتم فى ضلال عن الحق ، وسعر : أى نيران ، جمع : سعير ، فعكسوا عليه فقالوا : إن اتبعناك كنا إذن كما نقول . وقيل : السعر : الجنون " (٢) .

والإنكار فى (أبشراً) لأنهم يعتبرون الملك أعلى فى الفضل من البشر فهم ينكرون " أن يتبعوا مثلهم فى الجنسية " (٣) ، ففى الاستفهام

(١) تفسير أبى السعود ١٧١/٨ . وروح المعانى ٨٧/٢٧ .

(٢) الكشاف ٤٣٧/٤ .

(٣) المرجع السابق ٤٣٧/٤ .

استهانة وتحقير ، والتقليل من شأن البشرية بالنسبة للملائكة ، فلم يقل (أَيْكون مثل البشر) فإن تعريف البشر تقدير وتعظيم لشأنهم ، وهذا غير مراد في كلام الكفار واعتقادهم .

وقوله (منا واحداً) زيادة في التعجب يريد : " واحداً من أفناء الناس ليس بأشرفهم وأفضلهم ، ويدل عليه قولهم : أُولَئِكَ الذُّكُرُ عَلَيْهِ مِنْ بَيِّنَاتٍ أَيْ : أنزل عليه الوحي من بيننا وفيينا من هو أحق منه بالاختيار للنبوّة " (١) .

وفي تقديم (منا) للتقليل من شأنه لأنه منهم ولأنهم يعتقدون أن النبي لا بد أن يكون من رتبة أعلى ، و (واحداً) أَيْ : منفرداً لا تبع له أو واحداً من آحادهم لا من أشرفهم ، وتأخير هذه الصفة عن (منا) للتنبيه على أن كلا من الجنسية والوحدة مما يمنع الاتباع ، ولو قدمت عليه لفاتت هذه النكتة " (٢) .

إذا جاء الإنكار والتعجب في ثلاث كلمات (أبشراً ، واحداً ، منا) دلت على شدة تعجبهم وإنكارهم فذلك مخالف لتصورهم ، والسُّعْر : كلمة تفيد أكثر من معنى ، فمنه : العذاب ، والعناء ، والشدة ، وقيل هو جمع سَعِير أَيْ : لهب النار ، والسعر : الجنون " (٣) ، وكلها معانٍ تتور في فلك واحد ، وجميعها مرادة في الآية .

وقوله : ﴿ إِنَّا إِذَا لَفِئَ ضَلَالٍ وَسُعْرٍ ﴾ جملة مستأنفة مفصولة ، لأنه لا يراد إشراكها في حكم الأولى ، وكأن سائلاً سأل وماذا لو اتبعتموه ، فيكون الرد (إِنَّا إِذَا لَفِئَ ضَلَالٍ مَبِينٍ) ، أَيْ إن اتباع صالح

(١) المرجع السابق ٤٣٧/٤ .

(٢) تفسير أبي السعود ١٧١/٨ وأساليب القصر في القرآن الكريم ٩٧ د. صباح دراز ط ١ الأمانة .

(٣) فتح القدير ١٢٥/٥ ، ١٢٦ . ولسان العرب مادة (سعر) .

ضلال وسعير . والجملة من الخبر الإنكارى المؤكد بـ (إن واللام) ، وقوله (فى ضلال) مجاز من تشبيه الضلال بشئ يشملهم ، يتواجدون فيه على سبيل الاستعارة المكنية من حذف المشبه به وهو المكان وذكر شئ من صفاته (فى) لأنه لو اعتبر استعارة تبعية فى الحرف (فى) لا يصح أن نقول أن (فى) بدلاً من (على) لأن (على) أيضاً استعارة . فإن (فى) بمعنى الدخول فى الضلال ، والمراد : نكون ضالين عن الصواب ، و (سُر) معطوف على ضلال بحذف حرف الجر لدلالة السياق ، وفيه مبالغة بمعنى : أنهم لو اتبعوه يصبحون كمن فى النار ، وجاء لفظ الفاصلة مناسباً للمعنى تماماً لأن السعر : اللهب الشديد الدائم التسعير لا يهدأ أجيجه فالفاصلة مؤنثفة مع فواصل السورة متماثلة مع الفاصلة التى سبقتها .

قال تعالى : ﴿ أُولَئِكَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنْ بَيِّنَاتٍ بَلْ هُوَ كَذَابٌ أَشْرٌ ﴾ . (ألقى) تكرار للإنكار والتعجب ، واستبعاد أن يُختار من بينهم للنبوة ، وإلقاء الوحي عليه خاصة . " ثم أضربوا عن الاستتكار ، وانتقلوا إلى الجزم بكونه كذاباً آشراً ، أى : شديد البطر والتكبر " (١) . و " التعبير بـ (ألقى) بدلاً من أنزل قيل : لأنه يتضمن العجلة فى الفعل كما أن التعبير بقوله تعالى (كذاب) على وزن فعال صيغة مبالغة دون كاذب ليُشهدوا الناس على إمعانه فى الكذب " (٢) . و (الإلقاء) فيه استعارة بالكناية من تشبيه الذكر بشئ يلقى أو استعارة تبعية من (ألقى) بمعنى (أتلى عليه) أى خُص بتلاوة الذكر

(١) تفسير أبى السعود ١٧١/٨ .

(٢) روح المعانى ٨٨/٢٧ .

عليه من بيننا ولأن الذكر من الله والله حسب تصورهم في السماء التي فوق الأرض فقط فإن الإلقاء يناسب كون الذكر يلقي من فوقهم .
و" صيغة المبالغة أيضاً في قوله (أشر) على وزن فَعِلْ أى :
بطر ، شديد الكفران بنعمة الله عليه ، فكذب على الله وعلى الناس
وادعى النبوة " (١) .

وقوله (بل هو كذاب أشر) جملة مقطوعة ، تأكيداً للإنكار في
الجملة الأولى التي تفيد أن قوم ثمود ينكرون أن يكون الوحي أنزل عليه
الذكر ، فجاءت الجملة الثانية تأكيداً على أنه كذاب أشر ، ولم يقل
(كذاب وأشر) فالعطف يستلزم أن يكون كل صفة موجودة فيه مغايرة
للأخرى ، لكن ترك الواو جعل الصفتان ممترجتان ، يتصف بهما في
وقت واحد لا يمكن الفصل بينهما .

وذكر الضمير (هو) ، للإهانة والتقليل من شأنه ولأن المقام مقام
الغيبة . وللتأكيد ، بعد (بل) ، أى : هو بهذا الادعاء الذى يدعيه بأنه
رسول الله كذاب متكبر ، شديد البطر .

قال تعالى : ﴿ سَيَعْلَمُونَ غَدًا مِّنَ الْكَذَّابِ الْأَشْرِ ﴾ .

والآية مستأنفة من كلام الله لنبيه محمد وفيها التفات على رأى
السكاكى لاختلاف صاحب الضمير ، يُستشعر فيها معنى التهديد
والوعيد ، فإنهم غداً سوف يعلمون من الكذاب شديد البطر صالح أم
الذين كذبوه ، و (السين) " لتقريب مضمون الجملة وتأكيدهما " (٢) وفي
الآية تعريض بقوم ثمود بأنهم هم الكاذبون شديدو البطر وليس صالحاً
وتلويح إلى ما سينالونه جزاء تكذيبهم .

(١) روح المعانى ٨٨/٢٧ .

(٢) انظر روح المعانى ٨٨/٢٧ وروح البيان ٢٢٧/٩ .

قيل (غداً) أى : " عند نزول العذاب بهم أو يوم القيامة ، وفى ذلك وعيد للمكذبين ، ووعد للنبي صالح ، ويرفض بعض المفسرين أن يكون المراد بـ (غداً) يوم القيامة ، لقوله تعالى فى الآية التالية ﴿ إِنَّا مَرْسُلُوا النَّاقَةَ ﴾ فهو لمطلق الزمان المستقبل وعبر به لتقريبه " (١) .

ويمكن ملاحظة ما فى الآية من " تشریف الله لنبيه صالحاً حيث نزهه عن صفات الكذب والأثر اللذين نسبوهما إليه " (٢) .

قال تعالى : ﴿ إِنَّا مَرْسُلُوا النَّاقَةَ فِتْنَةً لَهُمْ فَارْتَقِبْهُمْ وَاصْطَبِرْ ﴾ .

والخطاب من الله ، وقوله ﴿ إِنَّا مَرْسُلُوا النَّاقَةَ ﴾ جملة خبرية مؤكدة بـ (إن) والجملة " مستأنفة لبيان ما تقدم إجماله من الوعد " (٣)، وللدلالة على أنها رسالة لهدف محدد و (مرسلوا) والمراد (أرسلنا) ، ولكن استعمال اسم الفاعل أكثر ثبوتاً ورسوخاً للخبر ، والتعبير بالمستقبل فى مقام الماضى ، للدلالة على التجدد وتأكيد الحدث أنه هو الله المختص بالإرسال .

والمفعول لأجله (فتنة) أى امتحاناً وابتلاءً لهم للتأكيد ولبيان الغرض من الإرسال والتعريض بغباوة قوم ثمود ، الذين لم يدركوا سبب إرسال الله للناقة .

وقد جعلت الناقة حجة على المكذبين " فى تصديق صالح ﷺ فيما جاءهم به وطلب الله من عبده ورسوله صالح ﷺ ، أن يرتقب أى

(١) انظر تفسير أبى السعود ١٧٢/٨ . وروح المعانى ٨٨/٢٧ بتصريف .

(٢) راجع روح البيان ٢٧٧/٩ بتصريف .

(٣) فتح القدير ١٢٦/٥ .

ينتظر ما يؤول إليه أمرهم ، ويصبر عليهم فإن العاقبة لك والنصر في الدنيا والآخرة " (١) .

وفعلا الأمر (فارتقبهم واصطبر) أمر حقيقى من الله عز وجل
لنبيه يطلب منه على وجه الإلزام : " انتظرهم وتبصر ما هم صانعون ،
واصطبر على أذاهم ولا تعجل حتى يأتيك أمر الله " (٢) ، وفى (ارتقبهم)
معنى : أمهلهم ، بالإضافة إلى الانتظار . فعلا الأمر كما هو واضح
على شئ قد حدث فى الماضى ومع ذلك يصور الأمر كأن صالحاً
حاضراً وذلك لتتويع الأساليب واستحضار الموقف فى ذهن السامع فلم
يقل (وأمرته بالارتقاب والصبر) .

فقال تعالى :

﴿ وَنَبِّئُهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُحْتَضَرٌ ﴾ .

ونبأ بمعنى : خبر قوم ثمود ، والأمر حقيقى معطوف على ما قبله
داخل فى حكمه لأن المخاطب فى الأفعال الثلاثة صالحاً ﷺ . يريد :
وأخبرهم أن الماء مقسم بينهم وبين الناقة بالتناوب ، يوم لها ويوم لهم .
والنبا أى الخبر ، لكن شاع استعمال النص القرآنى لفعل الأمر
(نبئهم) بدلاً من أخبرهم ، فمن المعروف أن لفظ (نبى والأنبياء)
من نفس المادة ، ربما ذلك ما أعطى اللفظ قوة فى التأثير تزيد عن قوله
(أخبر) . وقيل " النبى : المخبر عن الله عز وجل ، لأنه أنبأ عنه " (٣) .

(١) تفسير ابن كثير ٦٦/٤ .

(٢) الكشاف ٤٣٨/٤ .

(٣) لسان العرب مادة (نبأ) .

وقوله (الماء قسمة) أى أن الماء قسمة بينهم إما لأن الماء كان قليلاً فلا يطغون على شرابها ، وإما لأن الناقة عظيمة الخلق تنفر منها حيواناتهم فتطغى على شربهم " (١) . وقد يكون لأمر ثالث ، وهو أن يمتحن الله سبحانه وتعالى قدرتهم على الالتزام، بدليل قوله (إنا مرسلوا الناقة فتنة) أى إنا أرسلنا الناقة امتحاناً لهم ، فإن قلة الماء أو عظم الناقة ليس وارداً لأن الله سبحانه قد أرسلها أصلاً لاختبار قدرتهم على التحمل والالتزام . فإن قوله (مرسلوا الناقة) مضاف ومضاف إليه للتأكيد على أنها أرسلت بأمره فلم يقل (أرسلنا) وذكر اسم الفاعل (مرسل) المتصل بواو الجماعة لتعظيم شأن الإرسال ودليلاً على أنها ناقة مأمورة لها طبيعة خاصة وأرسلت لغرض محدد يعلمه الله سبحانه . وقوله (بينهم) بإدخال الناقة فى الضمير مع قوم ثمود " تغليباً للعقلاء " (٢) على غيرهم .

وقوله: (محتضر) أى " محضور لهم أو للناقة ، وقيل يحضرون الماء فى نوبتهم واللبن فى نوبتها ، وقيل يمنع من غير صاحبه مجاز عن (الحظر) بالطاء ، بمعنى : المنع بعلاقة السببية ، فإنه مسبب عن حضور صاحبه فى نوبته " (٣) .

ومحضور (٤) محتضر كلاهما (اسم مفعول) بمعنى : يحضرونه للشرب . وإنما أثر استعمال (محتضر) لما فيه من زيادة

(١) أضواء بلاغية على جزء الذاريات ٧٦ .

(٢) الكشاف ٤/٤٣٨ . وتفسير أبى السعود ٨/١٧٢ .

(٣) روح المعاني للأكوسى .

(٤) لسان العرب مادة (حضر) .

تأكيد وقوة ، وتناسب مع فواصل السورة ، التي يراعى فيها الحركة ما قبل الآخر .

و(الشرب) صفة لطالبي الشرب، وفي اللفظين (شرب، ومحتضر) إيجاز بالقصر^(١) ، فاللفظ يغني عن جملة بدلاً من القول : (كل من يريد الشرب فالماء محصور للشرب منه) .

قال تعالى : ﴿ فَادُّواْ صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ ﴾ .

والفاء : استئنافية ، تدل على أن نداء قوم ثمود جاء عقب أمر الله لهم ، وجاء بالجمع للدلالة على مشاركتهم جميعاً في ارتكاب المعصية ، واجتماعهم على معصية الله .

وتكرار (الفاء) في (فتعاطى) يدل على الترتيب والتعقيب وسرعة فعلهم فلم ينتظروا ولم يلتزموا بما أمر الله بل عصوا ، وفُتتوا كما ذكر الله سبحانه لنبيه ، فقد أمهلهم الله حتى وقعوا في الخطأ سريعاً ، عندما ملوا ولم تعجبهم هذه القسمة " وعزموا على عقر الناقة ، فنادوا صاحبهم ويقال هو (قدار بن سالف) أحيمر ثمود ، وكان أجراًهم ، فاجترأ على تعاطيه ، مع عظمه ، غير مكترث به ، فعقر أى أحدث العقر بالناقة ، جوز أن يكون : فتعاطى الناقة فعقرها ، أو فتعاطى السيف فقتلها ، وعبر (بتعاطى) مجازاً عن الاجترأ " ^(٢) .

(١) الإيجاز ضربان : إيجاز بالقصر : وهو تقليل الكلام وتكثير المعاني ويرى ابن الأثير أن التنبه لهذا النوع عسر لأنه يحتاج إلى فضل تأمل . والثاني إيجاز الحذف : وهو ما يكون بحذف كلمة أو جملة أو أكثر مع قرينة تعين المحذوف ، ولا يكون إلا فيما زاد معناه على لفظه . انظر المثل السائر لابن الأثير ٧٨/٢ تحقيق محمد محيي الدين ، القاهرة ١٣٥٨/١٩٣٩ .

(٢) الكشف ٤٣٨/٤ . وروح المعاني ٨٩/٢٧ . والتحبير في علم التفسير للسيوطي تحقيق عبد القادر فريد (بتصرف) ، دار المنار .

وفى لسان العرب (التعاطى) (مادة : عطا) بمعنى : تناول ما لا يحق ولا يجوز تناوله ، وتعاطينا فعطوته : أى غلبته ، وقال فى قوله تعالى (فتعاطى فعقر) أى فتعاطى الشقى عقر الناقة فبلغ ما أراد ، وقيل : بل تعاطيه : جرأته ، " وقيل التعاطى : تناول الشئ بتكلف " (١).

إذا جاء الفعل (فتعاطى) يحمل كل المعانى السابقة ، لذلك كان أنسب فى الأداء وأبلغ ، وليس فيه مجاز كما قيل ، وإنما فيه إيجاز بالحذف بمعنى : فتعاطى الناقة فعقرها ، لأن تعاطى يحمل معنى الاجترار لكنه أبلغ لاشتماله على أكثر من معنى ، فهو لا يراد به الاجترار فقط .

وجاء لفظ الفاصلة (فعقر) غير متصل بضمير لأنه مفهوم من السياق وللدلالة على سرعة الفعل والحسم فيه . فلم يقل (فعقروها) ، ولكى يكون التركيز على فعل العقْر أى مخالفة أمر الله ، فالناقة من مخلوقات الله ، وقد أرسلها لمهمة أَرادها ، وإنما التجرو على ارتكاب الفعل هو المطلوب إثباته كذلك لمراعاة الفاصلة .

قال تعالى : ﴿ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرٌ ﴾ .

هكذا يتكرر الاستفهام التعجبى ، بما يحمله من تهويل وتعظيم لما سيقع على قوم ثمود من عذاب ، فقد أمهلهم الله وأمر نبيه بالاصطبار عليهم والتكرار لزيادة التأكيد والتنبيه ، وفيه إشارة للوعد والوعيد .

قال تعالى : ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيِّحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ ﴾ .

(١) تفسير أبى السعود ١٧٢/٨ .

ففى قوله (أرسلنا صيحة) استعارة مكنية من تشبيه الصيحة بشئ يرسل .

وقوله (إنا) دائماً يُعبر بصيغة الجمع عن الواحد سبحانه وتعالى تفخيماً وتعظيماً^(١) لجلال قدره .

(إنا أرسلنا) جملة قطع واستئناف ، والفعل الماضى جاء بمعنى أمرنا جبريل مؤكداً بـ (إن ، والضمير : نا) العظمة .
و (صيحة واحدة) قيل إنها صيحة^(٢) جبريل عليه السلام .

والقيد بـ (واحدة) للدلالة على هول هذه الصيحة وشدة أثرها ، فتردع النفوس وتحذر المعصية ، لأنه إذا كانت صيحة تهلك قوماً هكذا فكيف لو أنها صيحتان أو أكثر ، و (تنكير) صيحة إعظاماً لشأنها ولقوتها التى لا تحد بحدود وليس لها قدر معلوم ، فهى صيحة لا مثيل لها كقيلة بأن تهلك بمجرد إطلاقها . وقوله « فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ » صورة تشبيهية تمثيلية من تشبيه هيئة قوم نوح وقد أرسل عليهم الله (صيحة واحدة) والمراد ربما الأمر بإهلاكهم فهلكوا وتقطعوا وأصبحوا أشلاء متناثرة ، بهيئة الهشيم وهو : الشجر يجمع فى الحظيرة بعد أن ييبس ورقه ويتكسر ويتحطم ، من تشبيه المحسوس بالمحسوس والصورة تشبيه تمثلى بليغ فى بيان حالهم بعد أن فرض عليهم الله العذاب بمعصيتهم لأمره والهشيم^(٣) مادة (هشم) أى : تحطم وتكسر ،

(١) راجع معترك الأقران للسيوطى ١٧٣/١ تصحيح أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية.

(٢) الكشف ٤٣٨/٤ .

(٣) لسان العرب مادة (هشم) .

ويكون للشجر الذى جف ويبس و (المحتظر)^(١) صفة للهشيم فى الحظيرة ، من مادة (حظر) أى : جعل بينه وبين من يواجهه حاجزاً ، واحتظر : اتخذ حظيرة ، والمحتظر : المحجوز فى الحظيرة لإطعام الماشية ، ووجه الشبه هو هيئة الشئ يتحطم ويتكسر ويحجز فى مكان تربى فيه الدواب ليكون طعاماً لها ، فبعد أن كان قيمة تقدر أصبح لا قيمة له مختلطاً بروث الماشية .

والصورة أبلغ من أى قول فإن هيئة قوم ثمود وهم قتلوا على هيئة أشلاء ممزقة يترامى بعضهم فوق بعض وكأن المكان الذى يحتويهم حظيرة يحتظرون فيها كل ذلك للدلالة على ضعفهم وتفاهمهم وضعة شأنهم ، وتصويرهم هكذا ليكونوا أمثلة لمن كفر وكذب الرسل وعصى ربه . وعناصر المشبه به مستمدة من البيئة لتكون أبلغ فى تصور الخيال لها .

والقيد فى (المحتظر) له قيمة بلاغية ، لأن المراد ، ليس مجرد إثبات تحطمهم وهلاكهم ، وكونهم أصبحوا كالهشيم ، وإنما أراد الله أن يصور لهم كيف أنهم محتجزون فى الأرض لا يكرمون بالدفن بل كان حظهم من الإهانة والتحقير أن يصبحوا طعاماً للدواب .

قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴾ .

وهكذا تتكرر الآية مع كل حكاية ، للتنبية والتحذير ، والإدكار فإن الله قد يسر وسهل القرآن للذكر ، ولكن لا يوجد من يتعظ ..

وقد يخرج التكرار فى الاستفهام (فهل من مدكر) إلى معنى الأمر ، أى : اذكروا واتعظوا كما سبق ذكره .

(١) لسان العرب مادة (حظر) .

المبحث الخامس قصة قوم لوط

وتبدأ القصة الرابعة التي يقصها القرآن عن الأمم السابقة وما استحققت من عذاب بسبب تكذيب الأنبياء وعصيان أمر الله ، يذكرها الله أملاً في الاتعاظ والاعتبار .

إنها قصة قوم لوط نبي الله الذي كذبوه ، وعصوه عندما نصحهم بالابتعاد عن ارتكاب الفاحشة في ذكورهم ، حتى إنهم تجرأوا على أضياف نبي الله لوط . فأعماههم الله وأهلكهم ، ونجى لوطاً وابنته ومن آمن معه .

يقول تعالى : ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذُرِ * إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ * نِعْمَةٌ مِّنْ عِنْدِنَا كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ * وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ * وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذِرْ * وَلَقَدْ صَبَّحَهُمْ بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقَرٌّ * فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذِرْ * وَلَقَدْ يَسْرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّذَكِّرٍ ﴾ (القمر : ٣٣ - ٤٠) .

قال تعالى : ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذُرِ ﴾ .

وفي الآية قطع واستئناف لأن ما سوف يأتي هو حكاية مستقلة عن قوم لوط ، يريد وكذلك قوم لوط فعلوا إذ كذبوا بالنذر وقوم لوط لم يكن لهم اسم مثل (عاد وثمود) لذلك نسبوا إلى نبي الله لوط .

والنذر سبق ذكر المراد بها وهي على معنيين : أن يكون المراد الرمل المنذرين ، أو الإنذارات التي أُنذروا بها قومهم .

قال تعالى : ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ نَّجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ ﴾ .

وكذلك يبدأ الله سبحانه حديثه بـ (إن) والضمير (نا) الفاعلين للتعظيم ، والتفخيم ، والتأكيد على فعل الإرسال الذى تم بأمر الله جملة من الضرب الإنكارى المؤكدة بـ (إن) وتكرار الضمير (نا) .

وقوله (عليهم) أى جاءهم الهلاك من فوقهم ، ودائماً يستعمل حرف الاستعلاء (على) للدلالة على ما يحيق بالإنسان من عقاب نتيجة إثمه فيقال عليه إثم وعليه ذنب ، لكن فى الجزاء الحسن يقال (له) ، وقد يأتى الجار والمجرور (له) فى موضع (عليه) أو العكس فيكون استعارة تبعية فى الحرف .

إذاً (عليهم) بمعنى شمولهم العقاب بإهلاكهم ، فلا يستطيعون الإفلات .

و (حاصباً) أى : ريحاً تحصبهم بالحجارة أى ترميهم بها " (١) . وله معانٍ مختلفة وقد تكون متناقضة ، ويذكر الحاصب(٢) : ريح شديدة تحمل التراب والحصباء، وقيل : ما تنثر من دقائق البرد والثلج. وقيل ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا ﴾ : أى عذاباً يحصبهم ، أى يرميهم بحجارة من سجيل ، وقيل : ريحاً تقلع الحصباء لقوتها .

فلو أن (حاصباً) اسم ريح ، فاللفظ على حقيقته - وإن كان المعنى عذاباً يحصبهم ، فاللفظ فيه مجاز بالاستعارة المكنية من تشبيه العذاب بالحاصب الذى يرميهم بالحجارة .

(١) الكشاف ٤/٤٣٨ .

(٢) لسان العرب مادة (حصب) .

ولا يخفى ما فى اللفظ من الإيجاز بالقصر بدلاً من قوله : فأرسل عليهم ريحاً تحصيهم بالحجارة ، أو عذاباً يحصيهم .

أرسل الله على قوم لوط حاصباً يحصيهم ويهلكهم ، واستثنى آل لوط ، وقوله (نجيناهم) يعنى أن نجاتهم كانت بأمر الله وكانت فى وقت السحر ، أى آخر الليل وقيل السدس الأخير منه وقيل هو اختلاط ظلام آخر الليل بصفاء النهار ، أى : جاءت نجاتهم فى وقت يكون الناس فيه غافين ، فإذا ما جاءت الريح الحاصب أهلكت الجميع فى غفلة منهم بتوفير عنصر المفاجأة إلا آل لوط كانوا من الناجين ، و (الباء) فى (بسحر) يجوز كونها للملابسة ، والجار والمجرور فى موضع الحال أى ملتبسين بسحر داخلين فيه ^(١) . فالمراد : بسحر أى بقطع من الليل ، وصرف لأنه نكرة ، " وجاء نكرة لأنه معلوم ، وقيل الباء للظرفية بمعنى أى فى سحر " ^(٢) .

فيقال : " إن السر فى تعذيبهم بالحجارة أنهم حُجزوا ومنعوا من اللوطة فلم يمتنعوا بل رموا نطفهم إلى غير محل الحرث فرماهم الله بالحجارة ، وأما انقلاب قراهم فلأنهم قلبوا الحقيقة وعكسوها ، بل تركوا محل الحرث وأتوا الأدبار " ^(٣) .

و (إلا) استثناء منقطع لأنه مستثنى من الضمير فى (عليهم) وهو للمكذبين من قوم لوط ولا يدخل فيهم آل لوط لأن المراد به من تبعه على دينه ^(٤) .

(١) روح المعاني ٩٠/٢٧ .

(٢) البرهان ٢٥٦/٤ .

(٣) روح البيان ٢٨٠/٩ .

(٤) روح البيان ٢٨٠/٩ .

و (آل) فلان ، يقال لمن له شأن وقدر ، ودائماً يقال (النبى وآله) أما (أهل) فتطلق على العامة و (آل) تطلق على الخاصة من الناس ممن لهم شأن .

قال تعالى : ﴿ نِعْمَةٌ مِّنْ عِنْدِنَا كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ ﴾ .
نعمة : مفعول لأجله لتأكيد أن النجاة لك يا لوط ولألك " إنعاماً
كأننا منا وهو لنجيناً " (١) .

وقوله : (من عندنا) للتأكيد على أن النعمة من عند الله ولا تكون إلا لمن أحبه واجتباها ، لأنه عبد شاكر لذلك قال : ﴿ كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ ﴾ أى نجزى بنعمتنا من شكر ، و (من) اسم موصول بمعنى (الذى) ، أما (وكذلك) فبمعنى : ومثل ذلك الجزاء العجيب نجزى به من شكر نعمتنا بالإيمان والطاعة " (٢) .

وتشبيه النجاة من الهلاك بالنعمة ، لأنها تشبه النعم التى ينعمها الله على الإنسان .

قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ ﴾ .
و (لقد) تأكيد للخبر بإسناد الفعل (أنذر) إلى النبى (لوط) ، وجاء الإخبار بالجملة الفعلية لتقوية الخبر وإثبات أنه لا حجة لهم بعد إنذارهم .

إن الله تعالى قد كلف نبيه لوطاً أن ينذر قومه من قبل أن يبتعدوا عن ارتكاب الفحشاء ويطيعوا الله ، لكنهم تماروا أى شكوا وكذبوه ،

(١) تفسير أبى السعود ١٧٣/٨ .

(٢) انظر الكشاف ٤٣٩ . وتفسير أبى السعود ١٧٣/٨ .

" ولم يلتفتوا إلى ذلك فأخذتهم بطشتنا أى عذابنا ، والبطش هو الأخذ القوى الشديد " (١) .

والتأكيد (باللام وقد) ، فيه معنى القسم ، والضمير فى (أنذرهم) للوط ، ليؤكد سبحانه أن لوطاً أنذرهم ، فلا حجة لهم ، ومع ذلك كذبوه وظلوا على حالهم فى المعصية .

و (البطشة) : السطو والأخذ بالعنف مع السرعة من : بطش ، يبطش بطشاً ، وفى الأفراد مع التأنيث ، تهويل لعقاب الله وعذابه ، الذى يكفى منه بطشة واحدة أو سطوة يأخذهم بها بشدة وسرعة ، ومع ذلك فقد شكوا وكذبوا ، وفى إضافة الضمير (نا) إلى البطشة ما يثير الخوف فى نفوسهم لأن البطشة إذا كانت من الخالق فهى بطشة لا تحتمل ولن يفلتوا منها .

و (الفاء) فى (فتماروا) للترتيب والتعقيب دلالة على سرعة ردهم بالكذب على إنذار لوط لهم و (بالنذر) أى كذبوا بالإنذارات ، أو كذبوا بالرسل المنذرين على اعتبار أن لوطاً واحداً من الرسل ، فلم تكن (النذر) موضع نقاش وحوار فيما بينهم لأخذ الرأى ، فقد تماروا جميعاً ، وعارضوا وكذبوا النذير ، وفى ذلك ما يدل على الاستهزاء بالرسل . فإن جملة (فتماروا بالنذر) فيه معنى الاستخفاف بالإنذارات وبالرسول ، لأن ما^(٢) الشئ موراً: أى اضطرب وتحرك ، وتمور : تذهب وتجيئ والممارسة : المعارضة ، والمعنى أنهم أسرعوا بالكذب وابتعدوا عن الحق ، لذلك " لم يتعد فعل المور بحرف الوعاء ولم يقل

(١) انظر الكشف ٤/٤٣٩ . وفتح القدير ٥/١٢٧ . وروح البيان ٩/٢٨٠ .

(٢) أسرار حروف الجر فى الذكر الحكيم ١٩٣ .

(تماروا فى النذر) حتى لا يتبادر إلى الأذهان أنهم شغفوا أنفسهم بها وجعلوها محلاً للجدال وتبادل الفكر فيها " (١) . وقوله: تماروا أبلغ من (كذبوا) ، لأن الأول فيه معنى سرعة المعارضة مع التكذيب والإصرار من الجميع على ذلك .

قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذِرِ ﴾ .

(ولقد) للتوكيد على حدوث فعل المراودة ، و (راوده) (٢) أى : أراده على أن يفعل كذا ، وقولهم : راودته على كذا مراودة ورواداً أى : أردته . وفى المراودة معنى الميل عن الحق بالاتفاق ، فالمراودة (٣) : مفاعلة ، من راد يرود إذا جاء وذهب ، كأن المعنى : خادعوه ، واحتالوا عليه ، ليمنحهم فرصة مواجهة ضيفه .

فإن قوم لوط أرادوا منه تمكينهم ممن أتاه من الملائكة ليُفَجِّرُوا بهم كما هو دأبهم " (٤) . فإن الملائكة الذين نزلوا ضيوفاً على لوط ، قيل أنهم جاءوا على صورة شباب مُرد حسان ، فلما علم قومهم بقدمهم أسرعوا إليه ، ولكن لوطاً لم يدخلهم على أضيافه لأنه يعلم الغرض الذى أتوا من أجله ، فحاولوا اقتحام الباب ، ولوط يدافعهم ، ولما اشتد الحال ، خرج إليهم جبريل عليه السلام فضرب أعينهم بطرف جناحيه ، فانطمست أى غارت فى وجوههم ، وقيل لم تبق لهم عيون كلية

(١) لسان العرب مادة (مور) .

(٢) لسان العرب مادة (رود) .

(٣) فتح القدير ١٢٧/٥ .

(٤) راجع (شرح الزمخشري لفعل المراودة) ، الكشف ٤٥٤/٢ ، ٤٥٥ .

ورجعوا على أدبارهم ، يتحسسون بالحيطان ويتوعدون لوطاً عليه السلام إلى الصباح " (١) .

ومدافعة لوط عن ضيفه ، لرعاية حق الضيف وكذلك كانت مدافعة عن ارتكاب الفحش الذي هو من أكبر الكبائر .

وقوله : (فطمسنا أعينهم) يفيد معنى ذهاب البصر تماماً ، والطمس^(٢) ، يراد به استئصال أثر الشئ وتأويل طمس الشئ : ذهابه عن صورته وفرق بين (طمسنا أعينهم) و (طمسنا على أعينهم) فالثانية بمعنى أعميناهم فقط وقد يزول العمى بمجرد رفع الطمس عن العيون ، لأن (على) لا تفيد معنى التغلغل في الشئ والتأثير فيه بحيث لا يعود إلى ما كان عليه . أما الأولى بدون (على) فأبلغ لأنها تفيد طمس العين كلية .

إن الله قد أنزل عليهم عقابه ، بأن أمر جبريل يطمس أعينهم ، لذلك أسند فعل (طمس) إسناداً مجازياً على سبيل المجاز العقلي لأن المنفذ لأمر الله هو جبريل ، والمسبب الحقيقي هو الله سبحانه ، فقال (فطمسنا) بإسناد الفعل إلى الله سبحانه للتأكيد على أن العقاب بأمر منه ، وجبريل عليه السلام وسيلة لتنفيذ إرادة الله فيهم ، أي أزلنا ضوء العين ومحونا صورتها ، فلم يعد لهم عيون . و (الفاء) تفيد سرعة طمس أعينهم بمجرد محاولتهم اقتحام الباب على الضيوف .

و (الفاء) في فذوقوا للتعقيب ، وفي الكلام التفات من ضمير الغائب في (أعينهم) إلى ضمير المخاطب في (فذوقوا) ، و " المراد بالعذاب هنا هو الطمس وكان هذا هو الإنذار " (٣) .

(١) الكشاف ٤/٤٣٩ وتفسير الخازن ٤/٢٣ وتفسير ابن كثير بتصرف .

(٢) لسان العرب مادة (طمس) .

(٣) روح المعاني ٩١/٢٧ .

قيل إن الفعل (فذوقوا) على ألسنة الملائكة^(١) ، أى من كلام الله بأمر ملائكته أن يرددوه ، ولكن ظاهر الكلام يدل على أنه كلام الله بدليل إسناد (عذاب ونذر) إليه سبحانه وتعالى . وإلا كانوا يقولون (فذوقوا عذابه ونذره) وحذف ياء المخاطب من (نذر) للتهويل ولمراعاة الفاصلة.

قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ صَبَّحَهُمْ بُكْرَةً عَذَابٌ مُسْتَقَرٌّ ﴾ .

والعذاب لا يصبح فهو أمر معنوى وضع فى صورة الحى المحسوس على سبيل الاستعارة بالكناية لتجسيد العذاب والتأكيد على أنه شملهم وأحاط بهم .

فقد صبحهم الله تعالى بكرة بعذاب دائم ثابت لا يزول ولا يتحرك عنهم .. إنه عذاب مستقر فيهم لا يبرحهم ، ولو رجعنا إلى قوله تعالى : ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ نَّجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ ﴾ نلاحظ أن نجاة آل لوط كانت فى وقت السحر ، ثم صبح قومه فى البكور بعذاب لا ينفك عنهم أبداً حتى أتى عليهم جميعاً ، فجاء ذكر إنجاء لوط وآله أولاً، ثم تحدث عن عذاب دائم ومستقر لقومه .

وصبحهم بكرة : أى " فى أول النهار وباكراً ، لقوله : مشرقين ، ومصبحين ، نقول : أتيت بكرة وغدوة بالتثنية ، إذا أردت التنكير ، وبغيره إذا عرفت ، وقصدت بكرة نهارك وغدوته " ^(٢) .

وجاء (بكرة) ظرف زمان ، يحدد وقت وقوع العذاب على قوم لوط ، وتكثيرها لتشمل أول النهار منذ شروق الشمس .

(١) الكشاف ٤/٤٣٩ .

(٢) الكشاف ٤/٤٣٩ . ولسان العرب مادة (بكر) .

لاحظ كيف تكرر (لقد) بمعنى القسم في الآيات الأربعة متتاليات، فالأخبار تحتاج إلى زيادة تأكيد ، ليصدقها أهل قریش ويعلموا أن الله أخذ قوم لوط بما ارتكبوا من فاحشة حرمها الله .

وقوله : صبحهم : تفيد أن الله لم يمهلهم ، وفيه عنصر المفاجأة .

ويتمثل غضب الله من هؤلاء القوم الفاسقين ، بأن تكرر معنى العذاب في الآيات ثلاث مرات في قوله :

- فطمسنا أعينهم فذوقوا عذابي ونذر .
- ولقد صبحهم بكرة عذاب مستقر .
- فذوقوا عذابي ونذر .

وتكرار العذاب ، لتأكيد وللدلالة على أن ما أقدموا عليه من جرم عقابه يبدأ بطمس الأعين ثم عذاب دائم ، ووصف العذاب بأنه (مستقر) استعارة شبه العذاب بشئ يستقر أى : يدوم فيهم لا يتركهم ، على سبيل الاستعارة المكنية .

والمعنى : أنه عذاب " لا يفارقهم حتى يسلموا إلى النار وفي وصفه بالاستقرار إيماء إلى أن ما قبله من عذاب الطمس ينتهي إليه " (١) .
ثم تتكرر الآيتين : ﴿ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذِرْ ، وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴾ . والتكرار ورد ليجد السامع عند " كل نبا منها اتعاضاً وتنبهاً وأن كلاً من تلك الأنبياء مستحق باعتبار يختص به وأن يتنبهوا كيلا يغلبهم السرور والغفلة " (٢) .

فالأولى معطوفة بالفاء ، ومكررة للتأكيد على أن ما نالهم من عذاب يستحقونه هو عذاب مخصوص ، عذاب مهين دائم ، لأنهم لم

(١) تفسير أبي السعود ١٧٣/٨ .

(٢) البرهان في علوم القرآن ٢٠/٣ .

يكتفوا بتكذيب الرسول وإنما أقدموا على ارتكاب الفاحشة والفجور ولم يرتدعوا بل تجرّوا على ضيف لوط من الملائكة .

وجاءت الآية التالية استئنافية تختتم بها قصة قوم لوط كما حدث فيما سبق من قصص للتنبية والتحذير ، للتدبر والتفكير في شأن هؤلاء الذين عصوا ربهم ، فمن الحكمة أن يتعظ كل من يعلم بهم حين يقرأ القرآن ، ويسارع إلى مغفرة من الله .

وتكرير الآية الفائدة منه : " أن يجدد السامع عند استماع كل نبأ من أنباء الأولين إدراكاً ، واتعاضاً ، وأن يستأنفوا تنبيهاً واستيقاظاً ، إذا سمعوا الحث على ذلك والبعث عليه ، وأن يقرع لهم العصا مرات ، لنلا يغلبهم السهو ولا تستولي عليهم الغفلة ، وهكذا حكم التكرير ، كقوله تعالى ﴿ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ عند كل نعمة عدها الله في سورة الرحمن ، وقوله تعالى ﴿ وَيْلٌ لِّلْمُكْذِبِينَ ﴾ عند كل آية أوردتها في سورة المرسلات ، وكذلك تكرير الأنباء والقصص في أنفسها لتكون تلك العبر حاضرة للقلوب ، مصورة للأذهان ، مذكورة غير منسية في كل أوان ^(١) .

والتكرار " في التنزيل الحكيم ورد للتخويف ، والتهويل والتفجيع ، كما أن فيه دليل لقدرته سبحانه وتعالى على تكرير ما يقول في قوالب متنوعة ونسق مختلفة مع اتحاد المعنى ، ووقوع الإعجاز ، وذلك غير متأتٍ لغيره ^(٢) .

(١) الكشف ٤/٤٣٢ . وانظر روح البيان للبروسوى ٩/٢٨١ .

(٢) المعاني الثابتة في الأسلوب القرآني: د. محيي أحمد عامر ٤٤٣ ، ط الإسكندرية .

المبحث السادس قصة آل فرعون

وينتهي الحديث عن قوم لوط ، لتبدأ قصة آل فرعون ، مع موسى وهارون عليهما السلام ، وقصة فرعون أولى بأن يطلع عليها القرشيون لأنه الملك الذي طغى وادعى الألوهية فارتكب أشنع معصية في تاريخ الأمم البائدة .

قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النَّذْرُ * كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ ﴾ (القمر : ٤١ - ٤٢) .

قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النَّذْرُ ﴾ .

فكذلك تبدأ قصة آل فرعون بالتوكيد (لقد) الذي يفيد القسم ، للتوكيد على أنهم - أيضاً - قد جاءهم النذر ، وقصة فرعون وآله تكررت في القرآن وبصيغ مختلفة وأحداث متنوعة ، و (فرعون) وآله في القرآن كانوا مثالا للطغيان والقوة والبطش وادعاء الألوهية ، وما ناله من عقاب ، مثال - أيضاً - للاتعاظ والتدبر والتفكير فيما حدث له ولآله، والمعنى : وبالله تعالى لقد جاءهم المنذرون أو الإنذارات، مثلهم مثل من سبقهم .

و (النذر) سبق القول : إنه ربما يكون المراد الإنذارات التي قدمها الأنبياء أو النذير : أى الرسول ذاته الذى ينذر قومه ، والمقصود بالنذر فى هذه القصة (موسى وهارون) عليهما السلام ، وغيرهما ، فقد عرضا على فرعون وملئه ما أنذر به الرسل، الأقوام الأخرى * (١).

(١) انظر الكشاف ٤/٤٣٩ . وفتح القدير ٥/١٢٨ بتصرف .

والملاحظ أن بداية كل قصة جاءت بالفعل الماضي (كذبت) في قصة قوم نوح ، و (عاد) ونبيلهم هود ، و (ثمود) ونبيلهم صالح، وقوم لوط . وعند حكاية قصة فرعون وآله بدأت بـ (لقد جاء) والمعنى : وكذلك مثل الأمم السابقة جاءتهم النذر ، ولأن قصة فرعون وهو رأس الكفر العنيد المدعى الألوهية تختلف عن باقى القصص ، لأنه تجرأ حين أرغم الناس أن يعبدوه فقد جاء الخبر مؤكداً بالقسم لتأكيد مجئ النذر لآل فرعون .

وتشبيه النذر بكائن حي يجرى لآل فرعون مجاز بالاستعارة المكنية، من حذف المشبه به وذكر شئ من صفاته وهو فعل المجى .

والاستعارة تفيد المبالغة والتأكيد على أن آل فرعون قد أنذروا على يد موسى وهارون عليهما السلام .

قال تعالى : ﴿ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ ﴾ .

والآية استئناف^(١) مبنى على سؤال نشأ في حكاية مجئ النذر ، كأنه قيل فماذا فعل آل فرعون عندما جاءتهم النذر؟ فيأتى الرد : كذبوا بآياتنا كلها ، قيل : هي^(٢) الآيات التسع ، " وهى ما جاء به الأنبياء عليهم السلام فى عصور مختلفة وقيل إن الآيات هى: اليد، والعصا، والطوفان، والجراد والقمل والضفادع والدم ، وحل عقدة لسان موسى ، وانفلاق البحر " ^(٣) .

(١) " والاستئناف البياني هو أن تنزل الجملة الأولى منزلة السؤال لكونها مشتملة عليه ومقتضية له فتفصل الثانية عن الأولى كما يفصل الجواب عن السؤال " . د. رفعت إسماعيل السوداني ١٣٠ للتركي . طنطا ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م .

(٢) انظر تفسير أبى السعود ١٧٣/٨ . وروح المعاني ٩١/٢٧ . والكشاف ٤٣٩/٤ .

(٣) انظر روح البيان ٢٨١/٩ . وتفسير القرطبي ١٤٥/١٧ .

وقوله (كلها) من المؤكدات التي تفيد الشمول والإحاطة ، بمعنى أن التكذيب شمل كل الآيات السابق منها واللاحق على يد موسى وهارون عليهما السلام .

وقوله (فأخذناهم) : (الفاء) تعنى أنه ترتب على تكذيبهم أن عقب الله ذلك بأخذهم (أخذ عزيز مقتدر) مفعول مطلق مبين لنوع الفعل ومؤكد له ، والمراد بالضمير في (أخذناهم) آل فرعون ، أى : أخذناهم بالعذاب أخذ غالب في انتقامه قادر على إهلاكهم لا يعجزه شئ * (١) .

وقيل : الفاء في قوله تعالى (فأخذناهم) للتفريع أى قهرناهم لأجل تكذيبهم ، وأخذناهم أخذ عزيز : لا يغالب ، ومقتدر أى : لا يعجزه شئ * (٢) .

والفعل الماضى (أخذناهم) استعارة تبعية بمعنى عاقبناهم ، والأخذ أبلغ لما فيه من معنى القوة والقدرة والتحكم ، فإن الله سبحانه لم يأخذهم وإنما عاقبهم بتكذيبهم للرسول ، فعبر بالأخذ ، وهذا الفعل يتكرر كثيراً في مقام العقاب في آيات أخرى من القرآن .

والفاصلة القرآنية (مقتدر) متمكنة لأنها أبلغ من قوله (قادر) " لدلالته على أنه قادر متمكن القدرة لا يردده شئ عن اقتضاء قدرته ويسمى هذا قوة اللفظ لقوة المعنى " (٣) .

(١) فتح القدير ١٢٨/٥ .

(٢) انظر الكشاف ٤٣٩/٤ . وروح المعاني ٩١/٢٧ .

(٣) انظر البرهان ٣٤/٣ .

قال تعالى: ﴿ أَكْفَارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أُولَئِكَمْ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ *
أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنتَصِرُونَ * سَيَهْزِمُ الْجَمْعُ وَيُؤَلُّونَ الذُّبُرَ * بَلِ
السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَذْهَى وَأَمْرٌ * إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ
وَسَعَرٍ * يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُقُوا مَسَّ سَقَرٍ * إِنَّا
كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ * وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ * وَلَقَدْ
أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ * وَكُلَّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ * وَكُلَّ
صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٍ * إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ * فِي مَقْعَدٍ
صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُقْتَدِرٍ ﴾ (القمر : ٤٣ - ٥٥) .

وتختتم سورة القمر بآيات يوجه فيها سبحانه خطابه إلى أهل مكة،
بعد أن ذكر لهم قصص هذه الأمم السابقة التي كفرت وكذبت الرسل
فيقول لهم سبحانه وتعالى : ﴿ أَكْفَارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أُولَئِكَمْ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ
فِي الزُّبُرِ ﴾ .

والاستفهام فيه التفات - على رأى السكاكى^(١) - حيث يتوجه
بخطابه سبحانه إلى أهل مكة وهو استفهام إنكارى تعجيبى ، وخرج إلى
" معنى النفي : أى ليس كفاركم يا أهل مكة ، أو يا معشر العرب خير
من كفار من تقدمكم من الأمم الذين أهلكوا بسبب كفرهم ، فكيف
تطمعون فى السلامة من العذاب وأنتم شر منهم " ^(٢) .

(١) قال السكاكى : الالتفات : غير مختص بالمسند إليه ، ولا بهذا القدر ، بل التكلم
والخطاب والغيبة مطلقاً ينقل كل واحد منها إلى الآخر . الإيضاح ٧٧ .

(٢) فتح القدير ١٢٨/٥ .

ولاحظ التعريض وكذلك التوبيخ في الاستفهام ، فكأنه يسأل المؤمنين من أهل مكة عن الكفار وفي ذلك ما يدل على الاستهزاء بالكفار وتحقيرهم وإبلاغهم بطريق غير مباشر أنهم مثلهم مثل كفار الأمم السابقة ، العذاب واقع عليهم لا محالة ، فالواقع أن الاستفهام عجيب يفيد أكثر من غرض .

و (أولئك) اسم إشارة^(١) الغرض منه تحقيرهم ، أى : " الكفار المعدودين : قوم نوح وهود وصالح ولوط وآل فرعون ، يريد : أن كفاركم مثل أولئك بل شر منهم " ^(٢) .

وفي الاستفهام ما سماه السكاكي : سوق المعلوم مساق غيره لنكتة ، بمعنى : هل كفاركم خير من أولئك السابقين أم أن من كفر منكم وكذب الرسل كان آمناً من عذاب الله ، والاستفهام الثالث في الآية التالية فى قوله : « أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرُونَ » .

أى : لا نغلب ، فالمعلوم أن كفار أهل مكة سوف يحاسبون ويعذبون لأنهم ليسوا أفضل ممن كفروا من الأمم السابقة .

وقوله « أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ » إيجاز قِصَر والمعنى : إنكار أن تكون لهم براءة من عذاب الله فى شئ من كتب الأنبياء ، وفى ذلك تبيكيت لهم ^(٣) .

ثم أضرب عن هذا التبيكيت لهم بوجه آخر فقال : « أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرُونَ » وفيه التفات من الخطاب فى (أكفاركم) إلى

(١) راجع (أغراض التعريف بالإشارة) . بغية الإيضاح ١٠٤ .

(٢) انظر الكشاف ٤/٤٤٠ .

(٣) انظر فتح القدير ١٢٨/٥ .

الغيبية في (يقولون) إلى التكلم (نحن) . وهذا الالتفات فيه " إعراض عنهم وإسقاط لهم عن رتبة الخطاب وكأنه يحكى قبائحهم لغيرهم " ^(١) كما أن فيه تنبيه ولفت وتأكيد إلى أن قولهم على لسانهم وليس حكاية مروية عنهم .

عبر بلفظ (جميع) بمعنى : جماعة أمرنا مجتمع ، وأفرد (منتصر) بدلاً من (منتصرون) " اعتباراً بلفظ جميع " ^(٢) ، ولمراعاة الفاصلة لكي لا يختلف رويها عن فواصل السورة، وكذلك فإن قوله (نحن جميع) فيه معنى " الثقة الكبيرة بقوتهم " ^(٣) وحدثهم، وأنه لا يقدر عليهم أحد حيث أنهم جماعة أمرها مجتمع لا تغلب ولا تهزم ولكن الله قرر هزيمتهم .

ثم تأتي الآية التالية رداً على قول كفار مكة إذ يقول تعالى :

﴿ سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ﴾ .

" وهذه الآية من دلائل إعجاز القرآن فهي من الأخبار الصادقة عن الأمور المستقبلية وهي لا تكون إلا من عند علام الغيوب ، وقد نزلت قبل فرض الجهاد . وكان ذلك في موقعة بدر " ^(٤) .

والفعل (سيهزم) مبنى للمجهول ، والسين منحت الفعل تأكيداً لحصوله في المستقبل ، ومجيئه هكذا ، لأن الآية السابقة فعلها مضارع (يقولون) لم يقل (أم قالوا) لذلك جاء الكلام بعد ذلك في المستقبل .

(١) روح البيان ٢٨٠/٩ .

(٢) المرجع السابق ١٢٨/٥ .

(٣) انظر روح المعاني ٩٢/٢٧ .

(٤) راجع تفسير الباقلائي للآية . إعجاز القرآن ٤٨ . وانظر تفسير البيضاوي ٢١٨/٤ .

و (الجمع) رد على قولهم (نحن جميع) ، فجاء الرد عليهم من جنس قولهم ، وفي ذلك مشاكلة .

و (الواو) في (ويولون) للوصل ، لأن الغرض إشراك الجملة الثانية في حكم الأولى ، للاتفاق في الخيرية . والمعنى : " سيهزم جمع كفار مكة ، أو كفار العرب على العموم .

والمراد بالدبر الجنس ، وهو في معنى الإديار ، وقد هزمهم الله يوم بدر وولوا الأديار ، وقُتل رؤساء الشرك وأساطين الكفر " (١) .

وقوله (يولون الدبر) كناية عن الانهزام والإديار أى الهروب .
" والدبر : نقيض القبل ، ودبر كل شئ عقبه ومؤخره ، وجمعها أديار " (٢) .

وقيل : معناها (الأديار) بالجمع ، وإنما أفرد (الدبر) لقولهم (نحن جميع) فكأنهم عند الانهزام والتراجع يمثلون جسداً واحداً ، كذلك لانتساب الفاصلة مع الفواصل الأخرى ، فيحدث هذا التناغم والتناسق الصوتي الصادر من تقارب الفواصل .

قال تعالى : ﴿ بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرٌ ۚ ﴾ .

وقوله (بل) يعنى أنه لن يكون عقابهم في الدنيا فقط عن طريق انهزامهم ، " وليس هذا العذاب الكائن في الدنيا بالقتل والأسر والقهر هو تمام ما وُعدوا به من العذاب ، وإنما هو مقدمة من مقدماته وطلعة من طلعاته " (٣) .

(١) فتح القدير ١٢٩/٥ .

(٢) لسان العرب مادة (دبر) .

(٣) فتح القدير ١٢٩/٥ . وانظر تفسير أبي السعود ١٧٤/٨ .

لذلك يقول (الساعة موعدهم) فالساعة : كناية عن يوم القيامة ، لأنها فى ساعة معلومة عند الله ، وقوله (موعدهم) أى موعودون للقاء ربهم ليفرض عليهم العذاب بما كفروا وكذبوا . وذكر (الساعة) الثانية من وضع المظهر موضع المضمّر^(١) ، فإن تكرار الساعة بدلاً من ذكر ضميرها ، " للتهويل من شأنها ، ولإزرع الخوف فى نفوسهم " ^(٢) .

وقوله (والساعة أدهى وأمر) أدهى أى : أشد وأفظع . والداهية الأمر المنكر الذى لا يُهتدى لدوائه " ^(٣) ، والمعنى : وعذاب الساعة أعظم فى الغد وأقطع .

ووصف الساعة بأنها أدهى ، تهويل فى أمرها ، مما يدخل الخوف والرعب فى نفوس الكفار . وقوله (وأمر) من تشبيه الساعة بالشئ مذاقه مر على سبيل الاستعارة المكنية من حذف المشبه به وذكر شئ من صفاته وهى المرارة . والمعنى أن عذاب الآخرة أشد مرارة من عذاب الدنيا .

قال تعالى : ﴿ إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ ﴾ .

و (المجرمين) صفة للكفار ، مؤكدة (بأن) جملة خبرية طلبية، تؤكد أنهم " فى هلاك ونيران ، أو فى ضلال عن الحق فى الدنيا ، ونيران فى الآخرة " ^(٤) .

ومسبق ختم فاصلة الآية (٢٤) بقولهم على لسان ثمود ﴿ إِنَّا إِذَا نَفَّيْ ضَلَالٍ وَسُعُرٍ ﴾ والفرق أن قوم ثمود يظنون أنهم لو صدقوا

(١) راجع (وضع المظهر موضع المضمّر) بغية الإيضاح .

(٢) انظر روح المعانى ٩٣/٢٧ . وروح البيان ٢٨٣/٩ .

(٣) الكشاف ٤٤٠/٤ ، وانظر روح المعانى ٩٣/٢٧ .

(٤) الكشاف ٤٤٠/٤ .

المكنية، بحذف المشبه به وذكر شيء من صفاته ، وهذا السحب لا يكون للمرعى ولا للحظائر ، ولكن للنار والسحب يكون على الوجود لتزداد صورتهم سوءً ، وإذلالاً ، كما ورد الفعل مبنياً للمجهول ليزداد الترهيب والوعيد وإعمال الفكر فيمن يسحبهم فترتكز الصورة في الأذهان .

وقوله (ذوقوا مس سقر) جملة مفصولة لاختلاف الجملتين خبراً وإنشاءً ، ولو عطفت لقال (ويزوقون ...) ، ولكن الغرض إهانتهم وإذلالهم وقهرهم ، لذلك جاء فعل الأمر متضمناً كل هذه المعاني البلاغية ، بالإضافة إلى الإشعار بهول نار جهنم وشدتها ، إذ قال (ذوقوا) ولم يقل (أشعروا أو حسوا) . ليكون هذا جزاءهم يوم القيامة لأن الإذابة بالفم أكثر تأثيراً وأشد إلاماً ودائماً القرآن يعبر عن تأثير النار والإحساس بألمها بالإذابة ، كما أن في الفعل استعارة مكنية من تشبيه نار جهنم بشيء له طعم يتذوقه الكفار ، فجعل إصابتهم بالنار محسوسة بحاسة التذوق ، ليكون أكثر إيلاماً وبشاعة ، فإن المس بالتذوق يكون أشد في جهنم التي تلتفحهم بحر نارها في قوله (مس سقر) فالمس يكون بظاهر البشرة ، وسقر : اسم علم لجهنم . يقول لهم : ذوقوا نار جهنم ، " لأن النار إذا أصابتهم بحرها ولفحتهم بالإلامها ، فكانها تمسهم مساً بذلك ، كما يمس الحيوان ويباشر بما يؤذى ويؤلم " (١) .

ولأن مجرد " (المس) سبب للإيلام ، ففيه مجاز مرسل علاقته السببية " (٢) .

قال تعالى : ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾ .

(١) الكشاف ٤/٤٤٠ .

(٢) انظر روح المعاني ٩٣/٢٧ .

أكد الجملة بـ (إن) المتصلة بالضمير (نا) نون العظمة وتقدير المفعول (كل) للتوكيد فهي خبرية من الضرب الإنكاري، وقوله (بقدر) أى بتقدير . والمعنى : " خلقنا كل شئ مقدراً محكماً مرتباً على حسب ما اقتضته الحكمة ، أو مقدراً مكتوباً فى اللوح معلوماً قبل كونه ، قد علمنا حاله وزمانه " (١) .

وقوله (خلقناه) باتصال الضمير بالفعل زيادة فى التأكيد على أنه صاحب الخلق وأنه عالم بما خلق وقدر ، فكل شئ عنده محسوب وقوله (بقدر) أى بكل دقة وحساب لا يخل سواء بالنقص أو الزيادة .

وقوله (كل) يفيد الشمول والإحاطة، أى : ما من شئ إلا وقدره . وتكثير (شئ) يفيد تعميمه وشموله لكل شئ صغيراً أو كبيراً . قال تعالى : ﴿ وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ ﴾ .

لما أخبرنا الله سبحانه عن نفاذ مشيئته فى خلقه إذ خلق كل شئ بقدر معلوم محسوب ، كذلك يخبرنا عن نفاذ قدره فينا ، فأمره لا يكون إلا مرة واحدة فيتحقق أسرع من لمح البصر .

فجاء أسلوب القصر بالنفى والاستثناء بطريق (ما وإلا) حيث قصر أمره سبحانه على كونه مرة واحدة يتحقق بعدها كلمح البصر ، من قصر الموصوف على الصفة . وهو " وصف لقيام الساعة ، فى يوم يكون خارقاً فى بغتته وسرعته ، من ضربهم المثل فى سرعة الشئ وانقضائه بأنه لمح البصر " (٢) .

(١) الكشاف ٤/٤٤٠ .

(٢) أساليب القصر فى القرآن الكريم وأسرارها البلاغية . بتصريف ١٦٨ صباح عبيد دraz ، ط ١ الأمانة .

وتشبيه الأمر بلمح البصر في السرعة ، دليل قدرة الخالق على نفاذ أمره في خلقه ، فإنه إذا أراد شيئاً يقول له (كن فيكون) ، " والتشبيه فيه تراخ لدخول الباء في (بالبصر) " ^(١) ، وهذا التشبيه يلائم افتتاح السورة الكريمة بقوله تعالى : (اقتربت الساعة) واللمح ^(٢) النظر على العجلة والسرعة، ولمحه وألمحه : إذا أبصره بنظر خفيف . والاسم : اللمحة ويأتى (اللمع) بمعنى لمعان البرق . أى : وما أمرنا لشيء نريد تكوينه إلا كلمة واحدة لا تثنى " ^(٣) .

إن بناء القصر في الآية على التشبيه أغنى في الدلالة والخصوبة في الفكرة وتوليد الظلال ، ويلاحظ في التشبيه أن المنفى هو المقابل لما دل عليه المشبه به " ^(٤) .

وهكذا يتضح أن الآيات السابقة ، تحمل الوعد والوعيد بكفار مكة، ولمن يأتى بعدهم ، بأن الله مهلكهم إذا أمر وقدر ، " وذلك على الله يسير لأن قضاءه في خلقه أسرع من لمح البصر " ^(٥) .
قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِنْ مُّذَكِّرٍ ﴾ .

بدأت الآية بالتوكيد القسمي (لقد) ، والأشباع : الأشباه ، أى أشباهكم في الكفر من الأمم السابقة ، وقيل أتباعكم وأعوانكم " ^(٦) .
وقيل : " القوم الذين يجتمعون على الأمر ، ويكون أمرهم واحد ،

(١) من بلاغة النظم القرآني ٣٠٧ .

(٢) انظر لسان العرب مادة (لمح) .

(٣) القرآن والصورة البيانية ١١١ .

(٤) أساليب القصر في القرآن ١٦٨ .

(٥) روح البيان ٢٨٤/٩ .

(٦) انظر للكشاف ٤٤١/٤ . وفتح القدير ١٢٩/٥ .

والشيع الفرق التي تختلف فيما بينها وتنفرد في أمرها " (١) . وهذا هو المراد أى أشباههم الذين تفرقوا ولم يتفقوا على أمر فقد كانوا كفاراً كل حسب طريقته في الكفر ولكنهم جميعاً يشبهون بعضهم البعض في مبدأ الكفر بالإله الواحد .

وأهلكنا : أفنيها .

ثم يأتي الاستفهام الذي نكرر أكثر من مرة (فهل من مدكر) أى فهل من متذكر ومتعظ ، بعد هذا الوعيد من الله ليتأكد أنه الحق ، فيحذر عقاب الله ويتجنبه لكي لا يصيبه ما أصاب الأمم السابقة . فالاستفهام إما يفيد التنبيه والتحذير ، أو يفيد النفي أى لا يوجد من يذكر .

وإذا كان المراد من الاستفهام إفادة النفي ، فإن ذلك ادعى لزيادة التذكير والتوكيد لذلك يقول بعد ذلك : ﴿ وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ ﴾ . والواو استئنافية وقوله (كل شئ) تأكيد باشتمال وإحاطة الزبر - أى : الأسفار - كل ما فعلته الأمم التي أهلكها الله ، فإن كل شئ حتى الضئيلة من أفعالهم ، مكتوبة في اللوح المحفوظ صغيرة وكبيرة ، جليلة وحقيقية ، خير الأفعال وشرها .

والزبر : الكتب أو الأسفار ، مفردها (زبور) .

ثم جاء قوله تعالى : ﴿ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌّ ﴾ .

ومستطر أى : مسطور ، والأول أبلغ لما فيه من معنى التسابع والتوالي . والآية ظاهرها العطف بالواو ولكن معناها : بدل من الآية السابقة ﴿ وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ ﴾ وربما تفسر لقوله (كل شئ) ، فالآيتان تفيدان نفس المعنى ، وإن كان في الأولى مجمل والثانية مفصل .

(١) لسان العرب مادة (شيع) .

وتختتم السورة بأيتين ، فيهما وعد صادق ، وجزاء حسن للمتقين فبعد أن ذكر عقاب الكفار وما سوف يلاقونه من عذاب في نار جهنم وقد نبيههم الحق بأن كل ما فعلوه وقالوه محفوظ إلى يوم يبعثون ... التفت إلى المتقين فقال : ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ﴾ . وجئ بالجملة اسمية خبرية للدلالة على أن جزاءهم الذي يصيرون إليه متحقق يقيناً أو أن يقدر متعلق الجار والمجرور بمعنى المستقبل ، أو أنهم فيها الآن على إطلاق (جنات ونهر) على ما توجبه التقوى على سبيل المجاز المرسل بإطلاق اسم المسبب^(١) على السبب .

أو قد يكون الكلام من باب الاستعارة ، والقرينة تعلق الوعد بالمستقبل ، فالاستعارة في متعلق الجار والمجرور ، حيث شبه الإقامة في (جنات) و (نهر) والاستمرار والدوام في المستقبل بالاستقرار والإقامة في الماضي بجامع تحقق الوقوع في كل على سبيل الاستعارة التبعية لتحقيق غرض بلاغي وهو تحقق الوقوع للأمر في المستقبل .

والخبر من الضرب الطلبى المؤكد بـ (إن) للتأكيد على أن المتقين هم الفائزون بالجنة ، فيأتى الخبر للدلالة على أنهم سوف يخلدون في جنات ونهر وقوله (في جنات ونهر) يشعر السامع أن الخبر متحقق وثابت ودائم ، ففي ذلك بيان ثواب المؤمنين المتقين بعد الإشارة إلى عقاب الكافرين ، فالمتقون سعداء في الآخرة وهذا أمر واقع لزيادة الترغيب في عمل الصالحات ، وجنات : جمع جنة ،

(١) " وعلاقة المسببية هي أن يكون المعنى الأصلي للفظ مسبباً عن المعنى المراد . والداعي إليها استشراف وتطلع إلى المسبب وبيان أنه المقصود من السبب " شروح التلخيص ٣/٣٨/٣٩ ، ونظرات في البيان : د. محمد عبد الرحمن الكردي ٢٢٨ - ٢٣٠ ، ط ١٩٨٣ .

" وَنَهَرَ ^(١) : اسم جنس يشمل الأفراد والجمع " ، أى أنهار وجنات ، وتكثيرهما لتعظيم شأنهما فالجنات ليست كالجنات فى الدنيا والنهر ليست كالنهر فى الدنيا . والمراد : " أن المتقين فى بساتين مختلفة وجنات متنوعة وأنهار متدفقة " ^(٢) . و " عبر بالمفرد فلم يقل أنهاراً مراعاة للفواصل ، والجرس الموسيقى بين الكلمات وأواخر الآيات " ^(٣) .

وإذا جاز أن يكون المتقون فى جنات ينعمون ويسعدون ، فإن عطف (نهر) بمعنى فى نهر : قد يكون استعارة تبعية فى الحرف إذا كان المراد (عند) النهر ، وقد يراد به الحقيقة ، أى فى نهر الجنة يسبحون ، وقيل : " إن نهر : هو السعة والضياء من النهار " ^(٤) فيكون (نهر) بمعنى (النهار) كناية عما يكون فيه المتقون من سعة وضياء .

ثم تأتى الآية الأخيرة وصفاً لحال المتقين فى الجنات وهم ينعمون بالحياة الأبدية فيقول تعالى : ﴿ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْتَرِرٍ ﴾ .

فتتحقق أعظم جائزة يحصل عليها المتقون ، إنهم فى مجلس حق لا لغو فيه ولا تأثيم ، و (مقعد صدق) كناية عن الجنة ، أو " عن المكان المرضى " ^(٥) .

وقيل " مقعد لا كذب فيه لأن الله صادق فمن وصل إليه امتنع عليه الكذب فهو فى مقعد صادق " ^(٦) . وقوله (عند ملك) كناية عن

(١) لسان العرب مادة (نهر) .

(٢) فتح القدير ١٢٩/٥ .

(٣) تفسير أبى السعود ١٧٥/٨ .

(٤) الكشاف ٤٤٢/٤ .

(٥) الكشاف ٤٤٢/٤ .

(٦) تفسير الخازن ٢٨١/٦ .

قرب المنزلة والكرامة وشرف المنزلة " (١) . وقوله : مقتدر : " أى قادر لا يعجزه شئ ، وقيل مقربين عند ملك أمره فى الملك والاقتدار أعظم شئ أى وهو تحت ملكه وقدرته فأى منزلة أكرم من تلك المنزلة وأجمع للغبطة كلها والسعادة بأسرها " (٢) .

وقوله (ملك) أى الله عز وجل ، وجاء فى لسان العرب " المَلِكُ، والمَلِكُ والملِكُ والمَالِكُ : ذو الملك ، وذاك المَلِكُ مقصور من مَالِك أو ملك وجمع الملك ملوك ، وجمع الملِك ملُكاء . وقال بعضهم : المَلِك والملِكُ لله وغيره . والمَلِكُ لغير الله ، والمَلِكُ من ملوك الأرض " (٣) . وقال تعالى : " (فى مقعد صدق) ، ولم يقل (مجلس صدق) إذ لا زوال عنه ، إذ إن (القاف والعين والذال) تدل على اللبث والبقاء على حالة مثال قوله تعالى (مقاعد للقتال) (سورة آل عمران آية ١٢١) ، فإن الثبات هو المقصود ، أما (الجيم واللام والسين) فهى للحركة لقوله تعالى (وإذا قيل تفسحوا فى المجالس فافسحوا) (سورة المجادلة آية ١١) إشارة إلى أنه يجلس فيه زماناً يسيراً فهو ليس بمقعد " (٤) .

ومقتدر : أى قادر ، بزيادة ما فى اللفظ من تمكن وقدره تفوق قدرة البشر ، وفيه معنى الاختصاص بهذا الاقتدار لا أحد غير يقدر كاقتناره .

(١) انظر فتح القدير ١٢٩/٥ .

(٢) تفسير الخازن ٢٨١/٦ .

(٣) لسان العرب مادة (مَالِك) .

(٤) البرهان للزركشى ٨٤/٤ .

" فالأقْدَار على الشئ : القدرة عليه ، وقوله (عند ملك مقتدر)
أى قادر ، والقَدْرُ : الغنى اليسار ، وهو من ذلك لأنه كله قوة " (١) .
وهكذا ختمت سورة القمر ، بآيتين هدية للمتقين يفرحون بهما
وينعمون برضا الله عليهم وقد علموا سخطه على الكافرين .. وقد
جاءت الآيات متراسة متلاحمة يمسك بعضها بتلابيب بعض لما فيها
من جمال الإيقاع فى انتظام ألفاظها وتآلف فواصلها ، التى التزم فيها
حرف الراء وما قبله متحرك فعرف من قرأها كيف يأتى النظم القرآنى
معجزاً بألفاظه ومعجزاً فى معانيه .
وصدق رسول الله ﷺ حين قال : " من قرأ سورة القمر فى كل
غيب (٢) بعثه الله يوم القيامة ووجهه مثل القمر ليلة البدر " (٣) .

(١) لسان العرب مادة (قدر) .

(٢) والغيب : ان ترد الماء يوماً وتدعه يوماً ، والغيب : فى الزيارة ، والغيب : فى كل
أسبوع . الكشف ٤٤٢/٤ . ولسان العرب مادة (غيب) .

(٣) أخرجه الثعلبى وابن مردويه والواحدي بأسانيدهم إلى أبى بن كعب . الكشف
٤٤٢/٤ . وتفسير أبى السعود ١٧٥/٨ .

الخاتمة

إن النظم القرآني يظل هو السبيل لكل قاصد يريد التعرف على أسرار اللغة العربية ، وإمكاناتها التي لا تحد بحدود ، فإنه النظم الذي يعلو ولا يعلى عليه .

وسورة القمر جزء من هذا النظم المعجز ، جاءت محاولة دراستها وتحليلها عملاً شاقاً ، احتاج جهداً ووقتاً ، ومع ذلك فلا أحد يطمع بأكثر ولا أفضل من مطالعة كتاب الله ، وتدارس آياته ، وقد تأكد بالتجربة أن البحث البلاغي هو الأقدر على تحليل معاني القرآن واستجلاء أسراره ، فكثير من الأساليب عندما تُفسر بلاغياً ويتعمق المحلل في تفاصيلها من حروف وألفاظ وجمل ، يخرج بتصور مقنع ، ويكون قادراً على إيجاد العلاقات والروابط ، التي يستدل من خلالها على أن النص القرآني أسلوبه معجز ، بحيث تمثل كل سورة كياناً متكاملًا ، انتظمت فيه الآيات وتتابع المعاني في نظام معجز بديع .

والسورة كما هو معلوم تمتاز بقصر آياتها لكونها مكية ، كما تبين كثرة ما جاء فيها من أساليب التحذير والوعيد ، لتكون حجة على الكافرين ، وجاءت السورة على نظام أسلوبى منتظم ، فقد نتج عن الدراسة ما يلي :

- " الفاصلة القرآنية جاءت من التماثل التي تتقارب في الوزن وتتماثل في حروف الروى وتسمى وتتماثل في حروف الروى " (١) ، وقد ظهر مدى تألفها وتمكنها في

(١) الفاصلة المتماثلة : هي التي تتقارب في الوزن وتتماثل في حروف الروى وتسمى كذلك المتجانسة أو ذات المناسبة التامة (انظر البرهان في علوم القرآن للزركشى ٧٣/١ ، ٧٤ ، والنكت للرماني ضمن ثلاث رسائل في الإعجاز ٩٠ ، والفوائد لابن القيم الجوزية ٨٨ ، والطرز ١٨/٣ ، ومن بلاغة القرآن : د. أحمد بدوى ٨٨ نهضة مصر ط ٣ ١٩٥٠ .

موضعها ، وأنها أفادت المعنى ، وبها انتظم إيقاع الكلام ، وانسجم النظم فى الآيات .

- بنيت السورة على مقدمة عن اقتراب يوم القيامة وتكذيب أهل مكة لنبيهم رغم ما رأوا من آيات ، وتحذير من مغبة كفرهم . ثم تتابع عرض أنباء الأمم السابقة فى أسلوب منتظم ، يبدأ كل قصة بالفعل الماضى (كذبت) ، وعند القصة الأخيرة يترك الفعل ليأتى الخبر بأسلوب قسمى (ولقد جاء آل فرعون) ، ثم ينتقل إلى خاتمة السورة التى ركزت على تذكير أهل مكة وتحذيرهم أن كفرهم وتكذيبهم لرسولهم وعنادهم ، سوف يكون عاقبته جهنم وبئس المصير ، ووعد من الله للمتقين بأنهم الفائزون بالجنة . هكذا جاءت السورة بناءً مترابطاً متراصاً آية بجوار أختها .
- تكرار الاستفهام (فكيف كان عذابى ونذر) وقوله (قيل من مدكر) جاء ينبه الغافل ويحذر الكافر .
- تكرار الجملة الخبرية القسمية (ولقد يسرنا القرآن للذكر) أكثر من مرة لإبطال الحجة وإثبات الغفلة والتقصير .
- جاءت الصورة الاستعارية - من مكنية وأصلية وتبعية - مؤثرة ، وموضحة للمعنى، مثل قوله (ففتحنا أبواب السماء ، تجرى بأعيننا ، إنا لفي ضلال ، فذوقوا عذابى ونذر) إلى غير ذلك من استعارات أبدعها النظم القرآنى .
- جاء التشبيه فى مواقع من الكلام ليؤدى دوره من التوضيح والإبانة ورسم الصور فى الخيال ، منه التشبيه المفرد ، ومعظمه تشبيهات تمثيلية ومقيدة واستعملت فيها الأداة (الكاف وكأن) من المحسوس بالمحسوس يصف الكفار من الأمم السابقة بقوله تعالى : (كأنهم

- جراد منتشر ، كأنهم أعجاز نخل ، فكانوا كهشيم المحتظر (وغير ذلك من تشبيهات ، تردع من يعتبر .
- أما الأمر فقد ورد بمعانى التحذير والوعيد مثل قوله : (فذوقوا عذابي ونذر) فقد تكرر هذا الأسلوب أكثر من مرة ، تأكيداً وتحذيراً وردعاً .
 - ورد التأكيد بالأسلوب القسوى (لقد) كثيراً وخاصة في قصة لوط مع قومه لما قاموا به من فعل شنيع ، جاء القسم مؤكداً لعقاب الله الذى شملهم .
 - اعتمد الربط بين الجمل على (الواو ، والفاء) فجاءت في مواقعها ، كما جاء الفصل لأغراض كثيرة وتأكد أن للفصل والوصل موقع دقيق يتضح من تفسير المعانى وترتيبها .
 - أسلوب القصر جاء في آية واحدة في قوله : (وما أمرنا إلا واحدة) .
 - أما فنون البديع فنادرة ، منها المجانسة وأكثرها في الحرف مثل قوله تعالى : (نحس مستمر ، تنزع ، أعجاز ، عذابي ونذر ، فتعاطى فعقر) نلاحظ تكرار حرف السين ، والزاي ، والذال ، والعين ، وما أحدثه من إيقاع متناغم .
 - ومن بديع النظم القرآنى ما جاء من تعريف بالضمائر ، وتكثير ، ووضع المظهر موضع المضمرة أو العكس ، والذكر والحذف ، كل جاء لغرض بلاغى تم توضيحه .
- وبعد ، فإن من يقرأ السورة مرات ومرات يلحظ هذا التلاوم والانسجام الكامن في ترتيب ألفاظها وتتابع آياتها ، إنه ذلك الإيقاع الداخلى الذى ينتظم به الكلام ويعلو قدره ، لأنه ذكر معجز من رب الأرباب مسبب الأسباب ، ومصلح النفوس ومربى الألباب .

المصادر والمراجع

القرآن الكريم .

- ١ - الإتيان في علوم القرآن للسيوطي ج٣ ، ٤ دار التراث القاهرة.
- ٢ - إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم لأبي السعود العماد ، دار إحياء التراث العربي ، ج ٨ .
- ٣ - أساليب القصر في القرآن الكريم: د. صباح عبيد دراز، ط ١ الأمانة.
- ٤ - أساليب بلاغية: د. أحمد مطلوب، وكالة المطبوعات ، الكويت ط ١ ، ١٩٨٠ م .
- ٥ - أسباب النزول للنيسابوري ، ط ٢ م الحلبي مصر .
- ٦ - أسرار التكرار في القرآن لابن نصر الكرمانى تحقيق عبد القادر أحمد عطا ، ط ١ دار الاعتصام .
- ٧ - أصوات اللغة : د. عبد الرحمن أيوب ، م الشباب ، القاهرة .
- ٨ - أضواء بلاغية على جزء الذاريات : د. عبد القادر حسين ، دار غريب للطباعة والنشر .
- ٩ - الإعجاز البياني للقرآن : د. عائشة عبد الرحمن ، دار المعارف .
- ١٠ - الإعجاز البياني في صيغ الألفاظ : د. محمد الأمين الخضرى ، مطبعة الحسين ط ١ .
- ١١ - إعجاز القرآن لعبد الكريم الخطيب ، دار الفكر العربى .
- ١٢ - أنوار الربيع في أنواع البديع للمدنى ، تحقيق شاكِر هادى .

- ١٣ - الإيضاح للخطيب القزويني تحقيق د. عبد الحميد هنداوى ،
مؤسسة المختار ، القاهرة .
- ١٤ - البرهان فى علوم القرآن للزركشى تحقيق محمد أبو الفضل
إبراهيم، دار المعرفة ، بيروت .
- ١٥ - بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح: عبد المتعال الصعیدی، دار
السعادة.
- ١٦ - بلاغة علم المعانى : د. أحمد النادى شعله ، المحمد ط ١ .
- ١٧ - التحرير فى علم التفسير للسيوطى تحقيق د. فتحى عبد القادر
فريد ، دار المنار .
- ١٨ - تفسير البغوى (معالم التنزيل) دار الكتب العلمية ، بيروت .
- ١٩ - تفسير البيضاوى ، مؤسسة الأعلمى للمطبوعات ، بيروت .
- ٢٠ - تفسير ابن كثير القرشى الدمشقى ، دار زهران .
- ٢١ - الجامع لأحكام القرآن للقرطبى ، ط دار الكتب المصرية ،
القاهرة .
- ٢٢ - الجامع الكبير تحقيق د. مصطفى جواد وآخر ، بغداد ١٣٧٥هـ/
١٩٥٦م .
- ٢٣ - الجمان فى تشبيهات القرآن لابن ناقياً البغدادي ، بغداد .
- ٢٤ - خزانة الأدب وغاية الأرب لابن حجة الحموى ، ١٣٠٤ هـ .
- ٢٥ - دراسات تحليلية للفصاحة والبلاغة والإسناد : د. الشحات محمد
أبو ستيت م. ط (بدون) .

- ٢٦ - روح البيان للبروسوى ، المكتبة الإسلامية .
- ٢٧ - روح المعانى للألوسى البغدادي، دار إحياء التراث، بيروت ط٤.
- ٢٨ - شروح التلخيص للقزويني وغيره ، عيسى الحلبي .
- ٢٩ - كتاب الصناعتين لأبي هلال العسكري ، تحقيق د. مفيد قميحة ، دار الكتب العلمية .
- ٣٠ - الصورة البيانية : د. حفي شرف ، نهضة مصر .
- ٣١ - الصورة الأدبية : د. مصطفى ناصف ، دار مصر .
- ٣٢ - فتح القدير للشوكاني ، دار غحياء التراث العربى ، بيروت .
- ٣٣ - الفوائد (المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان) لابن قيم الجوزية ، القاهرة ١٣٢٧هـ .
- ٣٤ - فى الدراسات القرآنية فى النقد الأدبى، تحقيق محمد خلف الله محمد، محمد زغلول سلام ، دار المعارف ، ط ٣ مصر .
- ٣٥ - القرآن والصورة البيانية : د. عبد القادر حسين ، دار المنار ، ط ١، ١٤١٢/١٩٩١ .
- ٣٦ - الكشف للزمخشري ، تحقيق محمد مرسى عامر دار المصحف ، م عبد الرحمن محمد .
- ٣٧ - لباب التأويل فى معانى التنزيل لعلاء الدين (الخازن) ج٦ ط الحلبي.
- ٣٨ - لسان العرب لابن منظور ، دار المعارف .

- ٣٩ - المثل السائر لابن الأثير ، ج ٢ تحقيق محمد محيي الدين ، القاهرة ١٣٥٨هـ / ١٩٣٩ .
- ٤٠ - مجمع البيان للطبرسي ، مكتبة الحياة ، بيروت ، لبنان .
- ٤١ - المعاني الثابتة في الأسلوب القرآني : د. محي أحمد عامر ، ط الإسكندرية .
- ٤٢ - معترك الأقران للسيوطي ، تصحيح أحمد شمس الدين ، دار الكتب العلمية .
- ٤٣ - المعجم الوسيط في الإعراب ، صنفه د. نايف معروف ، دار النفائس ، بيروت .
- ٤٤ - مفتاح العلوم للسكاكي ، ط الحلبي .
- ٤٥ - من أسرار حروف الحر في الذكر الحكيم : د. محمد الأمين الخضري ، م وهبة .
- ٤٦ - من بلاغة القرآن: د. أحمد بدوي ، ط ٣ ، نهضة مصر ١٩٥٠ .
- ٤٧ - من بلاغة النظم العربي : د. عبد العزيز عرفة ، ج ٢ .
- ٤٨ - من بلاغة النظم القرآني : د. بسيوني عبد الفتاح فيود ، ط الحسين الإسلامية ط ١ .
- ٤٩ - النظم القرآني في كشف الزمخشري : د. درويش الجندى ، ط نهضة مصر .
- ٥٠ - النظم القرآني ، د. رفعت إسماعيل السوداني ، التركي ، طنطا ، ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م .
- ٥١ - النكت للرماني ، ضمن ثلاث رسائل في الإعجاز .
- ٥٢ - نظرات في البيان ، د. محمد عبد الرحمن الكردي ، ط ثانية ، م. بدون ١٩٨٣ .

الفهرس

٣	المقدمة
٥	التمهيد
٧	التحليل البلاغى لسورة القمر
٧	المبحث الأول : مقدمة السورة
٢٢	المبحث الثانى : قصة قوم نوح
٣٦	المبحث الثالث : قصة قوم عاد
٤٢	المبحث الرابع : قصة قوم ثمود
٥٤	المبحث الخامس : قصة قوم لوط
٦٥	المبحث السادس : قصة آل فرعون
٨٢	الخاتمة
٨٥	المصادر والمراجع